٥١ – باب الرجاء

قَالَ الله تَعَالَى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]، وَقالَ تَعَالَى: {وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور} [سبأ: ١٧]، وَقالَ تَعَالَى: {إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [طه: ٤٨]، وَقالَ تَعَالَى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٥٦].

==========

قَالَ الله تَعَالَى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

(**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ**) بشر يا أيها الرسول عبادي المؤمنين ، الذين أفرطوا في الجناية على أنفسهم بالمعاصي والآثام ، وقل لهم :

(**لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**) أي : لا تيأسوا من مغفرة الله ورحمته .

(**إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**) أي : يمحوها وإن كانت مثل زبد البحر .

(**إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ**) اسم من أسماء الله.

قال السعدي: الغفور: الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب.

فهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم كما قال تعالى (إن ربك وسع لمغفرة).

وقد تكفل الله بالمغفرة لمن تاب (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى).

بل من فضله وجود وكرمه أن تعهد بأن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات قال تعالى عن التائبين (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً).

قال ابن القيم:

وهو الغفور فلو أتى بقرابها ... من غير شرك بل من العصيان

لأتاه بالغفران ملء قرابها ... سبحانه هو واسع الغفران.

والمغفرة: هي ستر الذنب عن الخلق ، والتجاوز عن عقوبته .

(**الرَّحِيمُ**) اسم من أسماء الله دال على إثبات صفة الرحمة الواسعة لله تعالى ، كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) وقال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ).

وَقالَ تَعَالَى (وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور) أي : لا نعاقب ولا نجازي هذا الجزاء الرادع الشديد، إلا لمن جحد نعمنا، وكفر بآياتنا، وآثر الغي على الرشد، والعصيان على الطاعة.

وَقالَ تَعَالَى (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى) .

(**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ**) يعني الهلاك والدَّمار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة .

(**عَلَى مَن كَذَّبَ**) بالله وبأنبيائه .

(**وَتَوَلَّى**) وأعرض عن الإيمان .

قال ابن عباس : هذه أَرجى آية للموحِّدين لأنهم لم يكذِّبوا ولم يتولّوا.

وَقالَ تَعَالَى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) .

أي : رحمته تعالى وسعت كل شيء من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد .

كقوله إخبارًا عن حَمَلة العرش ومن حوله أنهم يقولون (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا).

وقال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ).

قال ﷺ (إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) رواه مسلم،

ورحمة الله تعالى لعباده نوعان:

الأولى: رحمة عامة.

وهي لجميع الخلائق بإيجادهم، وتربيتهم، ورزقهم، وإمدادهم بالنعم والعطايا، وتصحيح أبدانهم، وتسخير المخلوقات من نبات وحيوان وجماد في طعامهم وشرابهم، ومساكنهم، ولباسهم، وحركاتهم، وغير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

الثانية: رحمة خاصة.

وهذه الرحمة لا تكون إلا للمؤمنين فيرحمهم الله في الدنيا بتوفيقهم إلى الهداية والصراط المستقيم، ويثبتهم عليه، ويدافع عنهم وينصرهم على الكافرين ويرزقهم الحياة الطيبة ويبارك لهم فيها، ويمدهم بالصبر واليقين عند المصائب، ويغفر لهم ذنوبهم، ويكفرها بالمصائب، ويرحمهم في الآخرة بالعفو عن سيئاتهم والرضا عنهم والإنعام عليهم بدخول الجنة، كما قال تعالى (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً).

فائدة : ١

تعريف الرجاء .

قال ابن القيم : الرَّجَاءُ " حَادٍ يَحْدُو الْقُلُوبَ إِلَى بِلَادِ الْمَحْبُوبِ. وَهُوَ اللَّهُ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ. وَيَطِيبُ لَهَا السَّيْرُ.

وَقِيلَ: هُوَ الِاسْتِبْشَارُ بِجُودِ وَفَضْلِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالِارْتِيَاحُ لِمُطَالَعَةِ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ.

وَقِيلَ: هُوَ الثِّقَةُ بِجُودِ الرَّبِّ تَعَالَى.

فائدة : ٢

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّمَنِّي أَنَّ التَّمَنِّيَ يَكُونُ مَعَ الْكَسَلِ. وَلَا يَسْلُكُ بِصَاحِبِهِ طَرِيقَ الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ. وَ" الرَّجَاءُ " يَكُونُ مَعَ بَذْلِ الْجُهْدِ وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ.

فَالْأَوَّلُ كَحَالِ مَنْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ أَرْضٌ يَبْذُرُهَا وَيَأْخُذُ زَرْعَهَا.

وَالثَّانِي كَحَالِ مَنْ يَشُقُّ أَرْضَهُ وَيَفْلَحُهَا وَيَبْذُرُهَا. وَيَرْجُو طُلُوعَ الزَّرْعِ.

وَلِهَذَا أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى أَنَّ الرَّجَاءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْعَمَلِ.

فائدة : ٣

وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ: نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ، وَنَوْعٌ غَرُورٌ مَذْمُومٌ.

فَالْأَوَّلَانِ رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ. فَهُوَ رَاجٍ لِثَوَابِهِ. وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا. فَهُوَ رَاجٍ لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ وَجُودِهِ وَحِلْمِهِ وَكَرَمِهِ.

وَالثَّالِثُ: رَجُلٌ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا. يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ. فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

فائدة : ٤

فضله :

قال ابن القيم : بلْ هُوَ (الرجاء) مِنْ أَجَلِّ مَنَازِلِهِمْ، وَأَعْلَاهَا وَأَشْرَفِهَا. وَعَلَيْهِ وَعَلَى الْحُبِّ وَالْخَوْفِ مَدَارُ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ.

وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ.

فَقَالَ (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) .

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِلَهِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ. إِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ. وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا. وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ خَوَاصِّ عِبَادِهِ الَّذِينَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: أَنَّهُمْ كَانُوا رَاجِينَ لَهُ، خَائِفِينَ مِنْهُ.

فَقَالَ تَعَالَى (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا) .

يَقُولُ تَعَالَى: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِي: هُمْ عِبَادِي، يَتَقَرَّبُونَ إِلَيَّ بِطَاعَتِي، وَيَرْجُونَ رَحْمَتِي، وَيَخَافُونَ عَذَابِي، فَلِمَاذَا تَدْعُونَهُمْ مِنْ دُونِي؟ فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ مِنَ الْحُبِّ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

فائدة : ٥

ثمرات الرجاء :

مِنْهَا: إِظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْفَاقَةِ، وَالْحَاجَةِ إِلَى مَا يَرْجُوهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيَسْتَشْرِفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي عَنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

وَمِنْهَا : أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُؤَمِّلُوهُ وَيَرْجُوهُ. وَيَسْأَلُوهُ مِنْ فَضْلِهِ؛ لِأَنَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْجَوَادُ، أَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَى. وَأَحَبُّ مَا إِلَى الْجَوَادِ أَنْ يُرْجَى وَيُؤَمَّلَ وَيُسْأَلَ. وَفِي الْحَدِيثِ «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ،» وَالسَّائِلُ رَاجٍ وَطَالِبٌ. فَمَنْ لَمْ يَرْجُ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ، فَهَذِهِ فَائِدَةٌ أُخْرَى مِنْ فَوَائِدِ الرَّجَاءِ. وَهِيَ التَّخَلُّصُ بِهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ.

وَمِنْهَا : أَنَّ الرَّجَاءَ حَادٍ يَحْدُو بِهِ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ. وَيُطِيبُ لَهُ الْمَسِيرَ. وَيَحُثُّهُ عَلَيْهِ. وَيَبْعَثُهُ عَلَى مُلَازَمَتِهِ. فَلَوْلَا الرَّجَاءُ لَمَا سَارَ أَحَدٌ. فَإِنَّ الْخَوْفَ وَحْدَهُ لَا يُحَرِّكُ الْعَبْدَ. وَإِنَّمَا يُحَرِّكُهُ الْحُبُّ. وَيُزْعِجُهُ الْخَوْفُ. وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ.

وَمِنْهَا : أَنَّ الرَّجَاءَ يَطْرَحُهُ عَلَى عَتَبَةِ الْمَحَبَّةِ، وَيُلْقِيهِ فِي دِهْلِيزِهَا. فَإِنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّ رَجَاؤُهُ وَحَصَلَ لَهُ مَا يَرْجُوهُ ازْدَادَ حُبًّا لِلَّهِ تَعَالَى، وَشُكْرًا لَهُ، وَرِضًا بِهِ وَعَنْهُ.

وَمِنْهَا : أَنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى أَعْلَى الْمَقَامَاتِ. وَهُوَ مَقَامُ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ خُلَاصَةُ الْعُبُودِيَّةِ. فَإِنَّهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مَرْجُوُّهُ كَانَ أَدْعَى لِشُكْرِهِ.

وَمِنْهَا : أَنَّهُ يُوجِبُ لَهُ الْمَزِيدَ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَمَعَانِيهَا، وَالتَّعَلُّقِ بِهَا. فَإِنَّ الرَّاجِيَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، مُتَعَبِّدٌ بِهَا، دَاعٍ بِهَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) .

وَمِنْهَا: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِرَجَاءِ رَبِّهِ، فَأَعْطَاهُ مَا رَجَاهُ، كَانَ ذَلِكَ أَلْطَفَ مَوْقِعًا، وَأَحْلَى عِنْدَ الْعَبْدِ. وَأَبْلَغَ مِنْ حُصُولِ مَا لَمْ يَرْجُهُ. وَهَذَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ وَالْحِكَمِ فِي جَعْلِ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ فِي هَذِهِ الدَّارِ. فَعَلَى قَدْرِ رَجَائِهِمْ وَخَوْفِهِمْ يَكُونُ فَرَحُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ بِحُصُولِ مَرْجُوِّهِمْ وَانْدِفَاعِ مُخَوِّفِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ تَكْمِيلَ مَرَاتِبَ عُبُودِيَّتِهِ مِنَ الذُّلِّ وَالِانْكِسَارِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالِاسْتِعَانَةِ، وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ، وَالرِّضَا وَالْإِنَابَةِ وَغَيْرِهَا. وَلِهَذَا قَدَّرَ عَلَيْهِ الذَّنْبَ وَابْتَلَاهُ بِهِ، لِتَكْمُلَ مَرَاتِبُ عُبُودِيَّتِهِ بِالتَّوْبَةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَحَبِّ عُبُودِيَّاتِ عَبْدِهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ تَكْمِيلُهَا بِالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ فِي الرَّجَاءِ – مِنَ الِانْتِظَارِ وَالتَّرَقُّبِ وَالتَّوَقُّعِ لِفَضْلِ اللَّهِ – مَا يُوجِبُ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِذِكْرِهِ وَدَوَامِ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ بِمُلَاحَظَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَنَقُّلَ الْقَلْبِ فِي رِيَاضِهَا الْأَنِيقَةِ، وَأَخْذَهُ بِنَصِيبِهِ مِنْ كُلِّ اسْمٍ وَصِفَةٍ – كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ – فَإِذَا فَنِيَ عَنْ ذَلِكَ وَعَابَ عَنْهُ، فَاتَهُ حَظُّهُ وَنَصِيبُهُ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

٤١٢ – وعن عبادة بن الصامتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (مَنْ شَهِدَ أَنَّ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحمدًا عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». **مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.**

وفي رواية لمسلم (مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ) .

==========

(**عبادة بن الصامت**) عبادة بضم العين ابن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد ﷺ كان من النقباء الذين بايعوا النبي ﷺ في بيعة العقبة وشهد بدراً وما بعدها بعثه عمر ﷺ مع معاذ وأبي الدرداء إلى الشام ليعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأقام في فلسطين وكان أول من تولى القضاء فيها، مات في الرملة في فلسطين سنة أربع وثلاثين.

١–هذا الحديث عظيم جليل .

قال النووي: هذا حديث عظيم الوقع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد ثم ذكر إلى آخر ما قال رحمه الله .

٢–الحديث دليل على فضل التوحيد وأنه من أسباب دخول الجنة .

ومن الأحاديث :

حديث عثمان في قوله ﷺ: " من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"

وقال ﷺ لأبي هريرة: "من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنةِ"

٣–قوله (دخل الجنة) إدخال الموحد الجنة ينقسم إلى قسمين:

الأول: إدخال كامل لم يسبق بعذاب : هذا لمن اتم العمل .

والثاني: إدخال الناقص مسبوق بعذاب : هذا لمن نقص العمل، لكن مآله إلى الجنة .

٤–قوله ﷺ (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) أي من تكلم بها عارفاً لمعناها عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً .

كما قال تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) .

وقالتعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) .

أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يتبين ولا يعمل بما تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل فغير نافع .

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) .

ومعنى (لا إله إلا الله) أي : لا معبود بحق إلا الله .

وأما من فسرها بلا إله في الوجود إلا الله ليس بصواب، لأن الله أخبر عن وجود آلهة كثيرة للمشركين .

كما في قوله تعالى (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) .

وهذا المعنى موضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود بالحق هو الله وحده كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم كابن تيمية وابن القيم .

كما قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) .

٥-قوله (**وأن محمداً عبده ورسوله**) فيه وجوب الإيمان بأن محمداً ﷺ عبد الله وأنه مرسل من عند الله .

فقوله (عبده ورسوله) دفعاً للإفراط والتفريط .

(عبده) رد على من رفعه فوق منزلته .

(ورسوله)ردٌ على من كذبه .

٦-قوله (**أن محمداً عبده ورسوله**) وصفه بالعبودية لأن أعلى ما يتصف به الإنسان أن يكون عبداً لله .

وقد وصفه الله بهذا الوصف في أعلى المقامات :

في مقام الإسراء : قال تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً) .

وفي مقام التحدي : قال تعالى (وإن كنتم في غيبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله .

وفي مقام الدعوة : قال تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) .

ووصفه الله بالعبودية لأسباب:

أولاً: لمعرفة شرف وفضل أن يكون الإنسان عبداً لله.

ثانياً: أن أعظم صفات الرسل هي عبوديتهم لله.

ثالثاً: ليجتهد الإنسان أن يكون عبداً لله ليصل للمراتب العالية عند الله .

قال شيخ الإسلام: والعبد كلما كان أذل لله وأعظم افتقاراً إليه وخضوعاً له كان أقرب إليه وأعز له وأعظم بقدره .

٧-الحديث دليل على إثبات الرسالة للنبي ﷺ وأن رسالته عامة لجميع الناس .

قال تعالى (محمد رسول الله،) .

وقال تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) .

وقال ﷺ (بعثت إلى الناس كافة) .

٨-في الحديث إثبات اسم محمد من أسماء النبي ﷺ .

وقد ورد في القرآن في أربعة مواضع :

قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) .

وقال تعالى (ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم) .

وقال تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد) .

وقال تعالى (محمد رسول الله) .

٩-قوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ...) .

فيه وجوب الإيمان بأن عيسى عبد الله ورسوله وأن ذلك من أسباب دخول الجنة .

فيجب على المسلم أن يهتم بعقيدته ويعرف عقيدة المسلم في عيسى .

فقوله (عبد الله) رد على النصارى الذين ادعوا أنه إله .

وقوله (ورسوله) رد على اليهود الذين كذبوه وادعوا أنه ولد بغي .

وقوله (وكلمته) إنما سمي عيسى كلمة لوجوده بقوله كن .

وقوله (وروح منه) أي: عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله واستنطقها بقوله ألست بربكم .

فقوله (منه) أي : أنه كائن منه .

ولأهمية معرفة المسلم لعقيدته في عيسى أذكر ما يتعلق بذلك :

أولاً: أن يؤمن ويعتقد أنه عبد الله ليس بإله، ورسوله ليس بكذابٍ أو أنه ولد بغي .

كما في الحديث (وأن عيسى عبد الله ورسوله) .

وقال تعالى (قال إني عبد الله) أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه .

وقال تعالى (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) .

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) .

وقال تعالى (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) .

ثانياً: نعتقد أنه من أم بلا أب .

كما قال تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

وقال تعالى (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) .

ثالثاً: أنه ليس له شيئاً من حقوق الربوبية فليس إلهاً .

كما قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) .

قال تعالى (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) .

رابعاً: أنه لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه وسينزل في آخر الزمان .

كما قال تعالى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ بل رفعه إليه) .

وقال تعالى (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) .

وجاء في الحديث قال ﷺ (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً) .

خامساً: أنه أحد أولي العزم من الرسل .

وقد ذكرهم الله أولي العزم من الرسل في موضعين :

في سورة الأحزاب قال تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) .

في سورة الشورى، قال تعالى (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) .

سادساً: أن من قال أنه قتل فهو كافر .

لأنه مكذب للقرآن.

سابعاً: عيسى ينسب إلى أمه دائماً .

قال شيخ الإسلام وذلك لحكمتين:

الحكمة الأولى : بيان أنه مولود والله لم يولد .

والحكمة الثانية: نسبته إلى مريم بأنه ابنها ليس هو ابن الله .

ثامناً: أن نزوله علم من أعلام الساعة، .

كما قال تعالى (وإنه لعلم للساعة) .

وجاء في قراءة (وإنه لعلم للساعة) .

وقال ﷺ (لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر علامات وذكر منها ونزول عيسى بن مريم ...) .

وقال ﷺ (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ...) .

تاسعاً: الحكمة من نزوله في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء .

قيل : الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه .

وقيل : أن عيسى وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ فدعا الله أن يجعله فيهم فاستجاب الله دعائه .

وقيل : أن نزول عيسى من السماء لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها .

ورجح الحافظ بن حجر القول الأول .

١٠-الحديث دليل على إثبات الجنة وأنها حق وفيه إثبات النار وأنها حق وأنهما مخلوقتان .

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليها أدلة كثيرة :

قال تعالى في الجنة (أعدت للمتقين) وقال تعالى في النار (أعدت للكافرين) ومعنى أعدت هيئت .

وقال النبي ﷺ (رأيت الجنة والنار) .

وقال النبي ﷺ (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) .

وعن أبي هريرة . قال : قال ﷺ (لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها فذهب ونظر إليها الحديث" فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ...) رواه أبو داود .

وعن أسامة بن زيد قال : قال ﷺ (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) .

١١-الحديث دليل على أن للجنة أبواباً .

كما قال تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ... وفتحت أبوابها) .

وقال تعالى (جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) .

وفيه أن عدد أبواب الجنة ثمانية، قال ﷺ (للجنة ثمانية أبواب) .

١٢-الحديث دليل على أن إصلاح العقيدة والتوحيد يدخل من أبواب الجنة الثمانية .

وهناك عمل آخر للدخول من أبواب الجنة الثمانية :

قال ﷺ (ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية) .

٤١٣ – وعن أَبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبيّ ﷺ (يقول الله – عز وجل: مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزْيَد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً) رواه مسلم.

==========

(**وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض**) بضم القافِ، ويقال: بكسرها والضم أصح وأشهر ومعناه: مَا يُقَارِبُ مِلأَهَا .

١-الحديث دليل على سعة الله تعالى العظيمة ، حيث أن الحسنة بعشر أمثالها .

فاللهُ عَزَّ وجَلَّ واسِعُ الرَّحمةِ، جَزيلُ العَطاءِ، ومُعاملتُه لعِبادِه دائرةٌ بيْنَ العَدلِ والفَضلِ، ومِن لُطفِ اللهِ تَعالَى بأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ أنَّه ضاعَفَ لها حَسناتِها ولم يُضاعِفْ سيِّئاتِها.

٢- قوله (**مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزْيَد**) .

أي : من همّ بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات .

وقد جاء في الصحيحين: عن عبدِ اللهِ بنِ عباسِ بنِ عبد المطلب رضِيَ اللهُ عنهما، عن رَسُول الله ﷺ فيما يروي عن ربهِ، تباركَ وتعالى، قَالَ (إنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ، وإنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

قوله (أو أزيد) كما في حديث ابن عباس : ... إلى سَبْعمئةِ ضِعْفٍ إلى أَضعَافٍ كَثيرةٍ .

وهذه الزيادة على العشر لمن شاء الله أن يضاعف له تكون حسب الإخلاص والإحسان في العمل.

كما قال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

وعن ابن مسعود قال (جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله! هذه في سبيل الله، فقال: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة) رواه مسلم

وفي حديث الصيام (قال تعالى: إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به) متفق عليه.

قال النووي: التَّضْعِيف بِعَشْرَةِ أَمْثَالهَا لَا بُدّ بِفَضْلِ اللَّه وَرَحْمَته وَوَعْده الَّذِي لَا يُخْلَف، وَالزِّيَادَة بَعْد بِكَثْرَةِ التَّضْعِيف إِلَى سَبْعمِائَةِ ضِعْف، وَإِلَى أَضْعَاف كَثِيرَة، يَخْصُل لِبَعْضِ النَّاس دُون بَعْض عَلَى حَسَب مَشِيئَته سُبْحَانه وَتَعَالَى.

وقال ابن رجب: إن مضاعفة الحسنات زيادة على العشر تكون بحسب حسن الإسلام، ويكون بحسب كمال الإخلاص، وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه، وبحسب الحاجة إليه.

وقال ابن حجر: وهذا يدل على أن تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزوم به وما زاد عليها جائز وقوعه بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدى النفع كالصدقة الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة وشرف العمل ونحو ذلك

وقال الشيخ ابن عثيمين: (إلى سبعمائة ضعف) وهذا تحت مشيئة الله تعالى، فإن شاء ضاعف هذا، وإن شاء لم يضاعف.

٣-قوله (**وَمَنْ جَاءَ بالسَيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ**) .

وهذا من رحمة الله أن السيئة بمثلها من غير زيادة .

كما قال تعالى (وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) .

وفي حديث ابن عباس السابق (وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

فهذا دليل على أن السيئات لا تضاعف مطلقاً، فقول بعض العامة: إن السيئات تضاعف في مكة كما تضاعف الحسنات، هذا الإطلاق لا يجوز، لأن السيئات لا تضاعف مطلقاً .

وقوله (أَوْ أَغْفِرُ)؛ أي: أسترها عنه فضلاً وكرماً، والمعنى: إن جازيته، فأجازيه بمثلها دون تضعيفها، كما في الحسنات، وإن شئت سترتها عنه، ولا أجازيه عليها أصلاً، وهذا من كمال فضله، وهو محمول على ما سوى الشرك، فإن سيئته لا يُغفر، كما بيّنه الله تعالى بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

٣-قوله (**وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ...**) .

فيه أن إقبالَ اللهِ على العَبدِ إذا أقْبَلَ العَبدُ عليه سُبحانَه وتَعالَى يكونُ أكثَرَ مِن إقبالِ العَبدِ عليه .

٤-قوله (**وَمَنْ لَقِيني بِقُرَابِ الأَرْض خَطِيئةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغفِرَةً**) .

المقصودُ مِن الحديثِ: دَفْعُ اليأسِ لمن كَثُرَت ذُنوبُه؛ كيْ يَتوبَ ويَعودَ إلى اللهِ، فلا يَنْبغي للعبدِ أنْ يَغتَرَّ ويَستكثِرَ مِن الخَطايا، فإنَّه يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ، ويُعذِّبُ مَن يَشاءُ، ولا يَعلَمُ مِن أيِّهم يكونُ، فعليْه أنْ يُؤدِّبَ نفْسَه بالخوفِ تارةً، وبالرَّجاءِ تارةً أُخرى؛ كي يكونَ مِن الفائزينَ.

٥- التَّرغيبُ والحثُّ على المجاهَدةِ في الطَّاعةِ والعِبادةِ.

٦- فَضيلةُ التَّوحيدِ وأنَّه سَببُ نَجاةِ العبدِ.

٤١٤ – وعن جابر ﷺ قَالَ: جاء أعرابي إِلَى النَّبيّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجِبَتَانِ ؟ قَالَ (مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار) رواه مسلم.

==========

(**مَا الموجِبَتَانِ ؟**) معناه الخصلة الموجبة للجنة والخصلة الموجبة للنار .

١-قوله (**مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**) .

الحديث دليل على سعة رحمة الله ، وأن من مات على التوحيد دخل الجنة حالاً أو مآلاً ، فلا يخلد في النار موحد .

وهذا من أعظم فضائل التوحيد .

عن أبي ذرﷺ قال: قال النبي ﷺ (آتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»، متفق عليه .

٢-الحديث دليل على خطر الشرك ، وأن الشرك بالله هو أعظم ذنبٍ عصي به الله .

مباحث في الشرك :

فائدة : ١

تعريف الشرك :

الشرك الأكبر هو أن يتخذ شريكاً أو نداً لله في ربوبيته أو ألوهيته أو في أسمائه وصفاته، والشرك الأكبر يكون في الاعتقادات كأن يعتقد أن غير الله مستحق للعبادة، ويكون في الأعمال كالذبح لغير الله ويكون في الأقوال كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. (تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله) .

قال الذهبي رحمه الله: وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك وتعبد معه غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو غير ذلك.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: الشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريفٍ جامع كما في حديث ابن مسعود أنه قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، والند المثل والشبيه فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيه .

وقال السعدي : إن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قولٍ أو عملٍ ثبت أنه مأمور به فيصرفه لغير الله ﷻ فهذا هو الشرك.

فائدة : ٢

الشرك أعظم الذنوب، وهو أظلم الظلم وذلك لأمور:

أولاً: لأن مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره.

ثانياً: لأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى في خصائص الألوهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع.

ثالثاً: هضم للربوبية، وتنقص للذات الإلهية.

رابعاً: سوء ظنٍ برب العالمين، فهو إذاً تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه، وأي ذنبٍ أعظم من أن يُجعل مع الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

فائدة : ٣

خطر الشرك .

أولاً : أن المشرك حرام عليه الجنة مخلد في النار .

وقال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) .

وقال تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ).

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) رواه البخاري.

وحديث الباب . قال ﷺ (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

قال النووي رحمه الله أما دخول المشرك النار فهو على عمومه يدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله: وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الأبدين من غير انقطاع عذابٍ ولا تصرم أعمال، فالمشرك إن مات على الشرك فهو في النار .

تنبيه :

ادخال الشرك العبد النار نوعان :

أ-إدخال تأبيد يعني يكون في النار مؤبد فيدخلها إلى الأبد ولا يخرج منها بل يبقى فيها خالداً مخلداً .

وهذا حظ أهل الشرك الأكبر يعني من مات على الشرك الأكبر.

ب-إدخال إلى أمد : يعني أمد فيدخلها إلى أمد ثم يخرج منها .

وهذا حظ من لم يكن من أهل الشرك الأكبر .

ثانياً : أن الله ﷻ لا يغفر للمشرك إن مات من غير توبة .

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) .

قال الشوكاني رحمه الله : لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته أما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انتهى من كتابه فتح القدير.

ويقول أيضاً: التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين.

ثالثاً: الشرك أعظم ما نهى

قال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .

وقال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) .

وقال تعالى (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) .

قال السعدي : أي افترى جرماً كبيرا، وأي ظلمٍ أعظم ممن سوى المخلوق من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجهٍ الذي لا يملك لنفسه فضلاً عمن عبده نفعاً ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء ؟

وعن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) متفق عليه.

رابعاً : الشرك أعظم الظلم .

قال تعالى (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

وقال تعالى (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ) أي: من المشركين.

قال ابن رجب: فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق، فعبده وتألهه، فوضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال الله تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

و**قال السعدي** : ووجه كونه ظلماً عظيماً لأنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا

يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو ، فهل أعظم من هذا الظلم شيء انتهى كلام السعدي رحمه الله رحمة واسعة.

خامساً : الشرك محبط للعمل .

قال تعالى (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

سادساً : الشرك هو أكبر الكبائر.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ قَالَ (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ). قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ (ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ). قَالَ قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ (ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ) متفق عليه.

وعن أبي بكرة قَالَ (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ (أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ – ثَلاَثاً – الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ) متفق عليه.

وعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكَبَائِرِ قَالَ (الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَقَوْلُ الزُّورِ) رواه البخاري.

فائدة : ٤

هذه الآيات وهذه الأحاديث التي تبين خطر الشرك وعاقبة المشرك تدل على أنه ينبغي للمسلم أن يخاف من الشرك، وأن يخاف من الوقوع فيه .

ولهذا قال حذيفة: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .

فيجب على الإنسان أن يخاف من الوقوع في الشرك وأن يحذر كل الحذر خاصة في هذه الأزمنة في فتح القنوات والانترنت وأصبحت تبث الشهوات والشرك وغير ذلك مما هو معلوم ولا يخفى على أحد.

فائدة : ٥

ومن أعظم الأدلة على وجوب الخوف من الشرك :

قوله تعالى عن الخليل عليه السلام (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وذلك من جهتين :

أ–من جهة المتكلم بها ، وهو إبراهيم إمام الحنفاء .

ب–من جهة المدعو به ، فإبراهيم دعا ربه بمجانبة الشرك ، والمجانبة فيها مزيد مباعدة للمنهي عنه .

ولهذا قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم .

ومما يدل على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك :

ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فسئل عنه فقال الرياء) .

ووجه الشاهد من هذا الحديث على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك؟ نقول من وجهين:

أ– أن الرسول ﷺ تخوف من وقوعه تخوفاً شديداً.

ب– أنه ﷺ تخوف من وقوعه في الصالحين الكاملين فمن دونهم من باب أولى .

تنبيه : قوله (الرياء) هذا من باب المثال لا من باب الحصر، إذ الشرك الأصغر أنواعه متعددة كالحلف بغير الله، وإنما اقتصر على الرياء لكثرة وقوعه ومشقة دفعه.

فائدة : ٦

الشرك ينقسم عند العلماء إلى قسمين : شرك أكبر ، وشرك وأصغر .

الأكبر تقدم تعريفه :أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله .

والأصغر : عرفه العلماء بعدة تعريفات كلها متقاربة (مضمونها : هو أن الشرك الأصغر لا يصل إلى حد الشرك الأكبر) .

قيل : هو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الأكبر .

وقيل : هو جعل شيء من حقوق الله لغيره لا يخرج به العبد من الملة .

وقيل : هو كل وسيلة تكون ذريعة إلى الشرك الأكبر قاله السعدي .

وقيل : ما ثبت شرعاً إطلاق اسم الشرك أو الكفر عليه وعُلم من أدلة أخرى عدم خروج صاحبه من الدين.

فائدة : ٧

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر .

الشرك الأكبر يخرج من الملة ، والأصغر لا يخرج من الملة .

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار ، والأصغر لا يخلد صاحبه فيها إذا دخلها .

الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

فائدة : ٨

الشرك الأصغر محرم بل هو أكبر الكبائر ويأتي في مرتبة تلي مرتبة الشرك الأكبر .

واتفق علماء أهل السنة على أن مرتكب الشرك الأصغر غير خارج من الملة وأنه لا يخلد في النار .

فائدة : ٩

الدليل على تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر :

ما جاء عن شداد بن أوس قال (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ من الشرك الأصغر) رواه البزار وسنده حسن .

وللحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء) .

فائدة : ١٠

قولنا الشرك الأصغر : قد يفهم بعض الناس إنه إنما سمي بذلك لقلة أهميته وليس كذلك ولكن لما كان بمقابل الأكبر سمي أصغر وإلا فهو أعظم من الكبائر .

وقد وضع العلماء ضوابط وقواعد يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر عند وروده في النصوص الشرعية :

ضابط : (١) أن ينص النبي ﷺ صراحة أن هذا من الشرك الأصغر .

كقوله ﷺ في الحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء) .

ضابط : (٢) أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكراً أي غير مقترن بالألف واللام فهذا في الغالب يقصد به الشرك الأصغر .

وهذا له أمثلة كثيرة كقول النبي ﷺ (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) ، فالمقصود بالشرك هنا الأصغر دون الأكبر.

ضابط : (٣) أن يفهم الصحابة من النصوص الشرعة أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر .

ومن أمثلة ذلك : ما رواه أبو داود عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال (الطيرة شرك ثلاثاً وما منا ولكن الله يذهب بالتوكل) ، فجملة وما منا إلا، هذه من كلام ابن مسعود كما بين ذلك أهل الحديث فهذا يدل على أن ابن مسعود ﷺ فهم أن هذا من الشرك الأصغر لأنه لا يمكن أن يقصد وما منا إلا ويقع في الشرك الأكبر، كما أن الشرك الأكبر لا يذهبه الله بالتوكل بل لابد من التوبة .

٣-فضل التوحيد وأن من مات على التوحيد لا يخلد في النار .

٤-على المسلم أن يجتهد في تحقيق التوحيد .

٥-دعوة الرسل كلها دعوة للتوحيد وترك الشرك .

٤١٥ – وعن أنس ﷺ (أن النَّبيّ ﷺ ومعاذ رديفه عَلَى الرَّحْل، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُول الله وَسَعْدَيْكَ، ثَلاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلاَّ الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إلاَّ حَرَّمَهُ الله عَلَى النَّار» قَالَ: يَا رَسُول الله، أفَلاَ أخْبِرُ بِهَا النَّاس فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» فأخبر بِهَا مُعاذٌ عِنْدَ موته تَأثُّمًا) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وقوله: «تأثُّمًا» أي خوفًا مِنْ الإثم في كَتْم هَذَا العلم.

==========

(وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ) أي: راكب خلف رسول الله ﷺ.

(لبيك) أي إجابة لك بعد إجابة.

(وسعديك) قال النووي: أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة.

(ثلاثاً) أي: النداء والإجابة، كما في رواية مسلم (فقال: يا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ». قُلْتُ لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْك).

(صِدْقاً مِنْ قَلْبِه) فيه احتراز من شهادة المنافق، وقوله (من قلبه) يمكن أن يتعلق بصدقٍ، أي: يشهد بلفظه ويصدق بقلبه، ويمكن أن يتعلق بيشهد، أي: يشهد بقلبه، والأول أولى.

(إذاً يَتَّكِلُوا) أي: إن أخبرتهم يتكلوا، وقد روى البزار بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري في هذه القصة (أن النبي ﷺ أذِن لمعاذ في التبشير، فلقيه عمر فقال: لا تعجل، ثم دخل فقال: يا نبي الله! أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها، قال: فرده) وهذا معدود من موافقات عمر.

(وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ) أي: موت معاذ، وأغرب الكرماني فقال: يحتمل أن يرجع الضمير إلى رسول الله ﷺ، قلت: ويرده ما رواه أحمد بسند صحيح عن جابر بن عبد الله قال: أخبرني من شهد معاذاً حين حضرته الوفاة يقول: سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يمنعني أن أحدثكموه إلا مخافة أن تتكلوا .. فذكره.

(تَأَثُّماً) أي: خشية الوقوع في الإثم، وإنما خشي معاذ من الإثم المترتب على كتمان العلم.

فإن قيل: لماذا أخبر بها معاذ مع نهي النبي ﷺ له؟

قيل: أنه علم أن النبي ﷺ لم ينهه عن الإخبار بها نهي تحريم.

وقيل: يحمل النهي على إذاعته، وهذا الوجه ظاهر، وقد اختاره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال: منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل.

١-الحديث على سعة رحمة الله ، وفضل التوحيد ، وأنه من أسباب دخول الجنة كما تقدم .

كما قال ﷺ (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة).

وقال ﷺ لأبي هريرة: (من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة).

وقال ﷺ (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة).

ودخول الجنة بغير حساب.

لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ... فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ... ثم قال: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) متفق عليه.

ولحديث عبادة السابق (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله ..).

٣ - قوله ﷺ (... إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ) فيه أن الموحّد لا يدخل النار، وتحريم النار على الموحد ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: تحريم دخول، وهذا حظ من كمُل توحيده.

والآخر: تحريم خلود، وهذا حظ من استحق التطهير بالنار من أهل التوحيد، فيدخلها ثم يُخرج منها ويُدخل الجنة فلا يخلد في النار أبداً.

٤ - أن من شروط لا إله إلا الله الصدق، ولا إله إلا الله لها شروط:

الأول: الإخلاص:

قال تعالى (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ).

وقال تعالى (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ).

وقال ﷺ (أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري.

وقال ﷺ (إن الله تعالى حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) رواه البخاري.

الثاني: العلم.

قال تعالى (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أي: بـ لا إله إلا الله ـ وهم يعلمون بقلوبهم.

وقال ﷺ (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة).

الثالث: اليقين.

قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا).

وقال ﷺ (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة).

وقال ﷺ لأبي هريرة (اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيتَ من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة) رواه مسلم.

رابعاً: الانقياد لها المنافي للترك.

قال تعالى (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

خامساً: القبول المنافي للرد.

قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ).

سادساً: الصدق.

لحديث الباب (مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ).

سابعاً: المحبة لها.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ).

وقال تعالى (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ).

٥-الحرص على تحقيق التوحيد، وتحقيق التوحيد ينقسم إلى قسمين باعتبار الحكم:

الأول: تحقيق واجب: وهو تخليصه من الشرك والبدع والمعاصي، وهذا يجب على المكلف أن يسعى فيه.

والثاني: تحقيق مستحب: وهو تخليص القلب من التعلق بالمخلوقين وسؤال ما فيه مذلة أو منة.

وهذا دليله حديث ابن عباس (لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون)، وحكم هذا التحقيق مستحب.

وضابطه: أن يترك استعطاف الناس وسؤالهم الأمور المباحة. فتترك الحاجة إلى المخلوقين.

٦ - الحديث دليل على جواز تخصيص قوم بالعلم إذا أمِن منهم الاتكال والترخص دون من لم يأمن منهم، وهذا معنى قول البخاري: كراهية أن لا يفهموا، أي: فيعملوا بالإطلاق ويتركوا التقييد.

٧-أهمية التوحيد وأنه يجب العناية به.

٨ - تواضع النبي ﷺ لقوله (على حمار)، وأيضاً كان يردف أصحابه.

٩ - جواز الإرداف على الدابة بشرط ألا يؤذيها ذلك.

١٠ - يستحب للعالم أن يطرح بعض المعلومات على وجه الاستفسار ليكون أوقع في النفس، وأبلغ في فهم المتعلم.

والأمثلة على ذلك كثيرة:

قال ﷺ لمعاذ! ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت: بلى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قول النبي ﷺ أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم؟

قول النبي ﷺ لأبي الدرداء: ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟

قول النبي ﷺ لمعاذ: ألا أدلك على أبواب الخير؟

قول النبي ﷺ للصحابة: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المؤمن فحدثوني ما هي؟

قوله ﷺ أتدرون من المفلس؟

١١- فضل معاذ بن جبل ومنزلته بالعلم، لكونه خص بما ذكر.

ومن فضائله:

أولاً: بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن معلماً وداعياً.

ثانياً: قال له ﷺ (إني أحبك في الله) فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني.

ثالثاً: حديث الباب، حيث خصه ﷺ بهذه المسألة، مما يدل على رسوخه في العلم.

رابعاً: روي عنه ﷺ أنه قال (أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ).

١٢-استحباب تكرار الكلام لتأكيده وتفهيمه.

١٣-جواز كتمان العلم للمصلحة، أما كتمه مطلقاً فلا يجوز لقوله ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من النار) رواه أبو داود وأما كتمه أحياناً أو عن بعض الأشخاص فجائز إذا ترتب على إظهاره مفسدة متحققة، ولذلك قال ﷺ لمعاذ: لا تبشرهم فيتكلوا.

١٤-الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله، لأن الاتكال على سعة رحمة الله يسبب مفسدة عظيمة وهي: الأمن من مكر الله.

١٥-جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض، وذلك أن النبي ﷺ خص هذا العلم بمعاذ دون غيره، حيث أن بعض الناس إذا أخبرته ببعض العلم افتتن.

كما قال ابن مسعود (إنك لن تحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) رواه مسلم في مقدمة صحيحه.

وقال علي (حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله) رواه البخاري.

١٦-استئذان المتعلم في إشاعة ما خص به من العلم.

١٧-أن هذه المسألة لا يعرفها كثير من الصحابة، وذلك أن معاذاً أخبر بها عند موته خروجاً من إثم الكتمان بعد أن مات كثير من الصحابة.

١٨-سعة رحمة الله وفضله.

١٩-مشروعية إجابة الداعي بـ[لبيك، وسعديك].

٢٠-مشروعية تبشير المسلم.

قال تعالى (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ).

وقال تعالى (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ).

وقال تعالى (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ).

وقال تعالى (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ).

وقال تعالى (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً).

ولأن البشارة تسر العبد وتفرحه، فاستُحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه.

ولما ولد النبي ﷺ بشرت به ثُوَيْبة عمه أبا لهب - وكان مولاها - فأعتقها أبو لهب سروراً به.

ولما نزلت توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ذهب إليه البشير فبشره، فلما دخل المسجد جاء الناس فهنؤوه.

٢١-حب المسلم لإخوانه المسلمين الخير؛ لقول معاذ [أفلا أبشر الناس].

٢٢-حكمة النبي ﷺ في العلم والدعوة.

٤١٦ – وعن أَبي هريرة – أَوْ أَبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما – شك الراوي – ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحَابِيّ؛ لأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ – قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تَبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا ؟ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ «افْعَلُوا» فَجاء عُمَرُ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِن ادعُهُمْ بفَضلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ الله أَنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ «نَعَمْ» فَدَعَا بِنَطْع فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفضلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بكَفّ ذُرَة وَيَجِيءُ بِكَفّ تمر وَيجِيءُ الآخرُ بِكِسرَة حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ، فَدَعَا رَسُول الله ﷺ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا في أوعِيَتِكُمْ» فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلأوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، لا يَلْقَى الله بِهِما عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ) رواه مسلم.

==========

(**في مسير**) كان هذا في غزو تبوك كما بينته الرواية الأخرى .

(**غزوة تبوك**) قال الحافظ : كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف .

(**مَجَاعَة**) الجوع الشديد .

(**فنفدت**) أي فنيتْ وفرغت .

(**أزواد القوم**) الأزواد جمع زادٍ وهو طعام المسافر المتخذ للسفرة .

(**قال**) أبو هريرة .

(**حتى هَمَّ**) الظاهر أن الضمير للنبي ﷺ ، ويكون المعنى : حتى همّ النبي ﷺ أن يأمرهم بنحر بعض حمائلهم ، ليستعينوا بذلك على ذلك الجوع ، ويحتمل أن يكون الضمير للقوم ويؤيد هذا قوله في الرواية الأخرى [قالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا] .

(**بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ**) يعني ما يحمل أثقالهم واحدتها حَمولة ، قال النووي : هي الإبل التي تُحمل .

(**قال**) أبو هريرة .

(**فقال عمر**) أي بعد أن أذن لهم النبي ﷺ في أن ينحروا بعض حمائلهم .

(**يا رسول الله ! لو جمعت**) أو هنا للعرض ، وفي الرواية الأخرى [فجاء عمر فقال : يا رسول الله ! إن فعلتَ قلّ الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ...] .

(**فدعوتَ الله عليها**) أي على الأزواد .

(**قال**) أبو هريرة .

(**ففعل**) أي فعل النبي ﷺ ما أشار عليه عمر من جمع أزواد القوم .

(**ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ**) البُر القمح

(**وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى**) أي : أيّ شيء يستفيدون بإحضارهم النوى .

(**قَالَ كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ**) يعني : أنهم ، وإن لم ينتفعوا بأكله ، إلا أنه إذا مُصّ جلب العطش فشربوا الماء ، وتقووا بذلك .

(**قال**) الظاهر أن الضمير لأبي هريرة .

(**فدعا عليها**) أي دعاء رسول الله ﷺ على ما أتوا به من بقية الأزواد .

(**حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ**) غاية لمحذوف : أي فأمرهم بالأخذ منها ، فأخذوا حتى ملؤوا أزودتهم .

(**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا**) أي بكلمتي الشهادة المذكورتين .

(**عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**) ظاهر الحديث أن من لقي الله تعالى وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا يدخل النار، وهذا صحيح فيمن لقي الله بريئاً من الكبائر ، فأما من لقي الله تعالى مرتكب كبيرة ولم يتب منها فهو في مشيئة الله تعالى ، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة الصحيحة المفيدة بكثرتها حصول العلم القطعي أن طائفة كثيرة من أهل التوحيد يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة .

١- أن من مات على التوحيد دخل الجنة .

٢- أن لشهادة أن لا إله إلا الله ، شروطاً ، منها اليقين وعدم الشك [وقد سبقت شروطها] .

٣- فضل اليقين لقوله [غير شاكٍ فيهما] فمن فضائله :

أولاً : سبب للإمامة .

قال تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) .

ثانياً : وأهل اليقين هم أهل الانتفاع بالآيات .

قال تعالى : (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ) .

ثالثاً : خص الله أهل اليقين بالهدى والفلاح .

قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون)

رابعاً : سبب دخول أهل النار النار عدم يقينهم .

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ).

خامساً : صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين .

قال ﷺ : (صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك آخرها بالبخل والأمان) .

سادساً : سبب لتهوين مصائب الدنيا .

فقد كان النبي ﷺ يدعو قبل أن يقوم من مجلسه : (... ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا) .

قال ابن مسعود : '' لو وقع اليقين في القلب لطار إلى الجنة اشتياقاً '' .

٤- أن في همّ النبي ﷺ بذبح بعض حمائلهم بيان مراعاة المصالح ، وتقديم الأهم فالأهم .

٥- ارتكاب أخف الضررين لدفع أشدهما .

٦- جواز خلْط المسافرين أزوادهم وأكلهم منها جميعاً ، وإن كان بعضهم يأكل أكثر من بعض ، وهو نظير مدح النبي ﷺ للأشعريين في جمعهم الأزواد إذا قلّت ، وتقاسمهم إياها بالسوية .

٧- فيه علم من أعلام النبوة .

٨- جواز عرْض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة ، لينظر الفاضل فيه ، فإن ظهرت له مصلحة فعله .

٩- صحبة وملازمة أهل العلم والفضل في الحضر والسفر .

١٠- أن البركة مع الجماعة .

١١- أن على الإمام أن ينظر في مصالح الرعية .

١٢- مشروعية استئذان الإمام وأمير السفر فيما يُفعل من الأمور العامة التي تؤثر على الجماعة .

١٣- النصح للأئمة .

١٤- أن الإبل تنحر .

١٥- تواضع النبي ﷺ حيث أخذ بقول عمر .

١٦- ما كان عليه السلف من شدة ضيق العيش والفقر .

١٧- فضل عمر بن الخطاب وفطنته .

١٨- الرد على الخوارج [الذين قالوا إن مرتكب الكبيرة إذا مات من غير توبة لا يدخل الجنة] .

١٩- حسن الأدب في مخاطبة أهل العلم والكبار .

٢٠- الإيمان بالجنة .

٢١- أن دخول الجنة هو الهدف .

٤١٧ – وعن عِتْبَانَ بن مالك ﷺ وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدرًا، قَالَ (كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهم، فَجِئتُ رسولَ الله ﷺ فقلت لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي وَإِنَّ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسيلُ إِذَا جَاءتِ الأمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأتِي فَتُصَلِّي في بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلّى، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «سَأَفْعَلُ» فَغَدَا رسولُ الله ﷺ وَأَبُو بكر ﷺ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَاسْتَأذَنَ رَسُول الله ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُول الله ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أهلُ الدَّارِ أنَّ رَسُول الله ﷺ في بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ في البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لا أرَاهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ الله ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : لا تَقُلْ ذلِكَ، ألاَ تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغي بذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَى» فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ أمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إلاَّ إِلَى المُنَافِقِينَ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ «فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلاَّ الله يَبْتَغِي بذَلِكَ وَجْهَ الله». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**عن عِتْبَان بْنَ مَالِكٍ – وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الأَنْصَارِ**) الخزرجي، قال ابن رجب: وكان قد ذهب بصره في عهد النبي ﷺ، وكان يؤم قومه وهو ضرير البصر، وهو شيخ كبير إلى أن توفي في زمن معاوية.

(**قَدْ أَنْكَرْتُ بَصَرِي**) وفي رواية (لما ساء بصري) وفي رواية (جعل بصري يَكِلّ).

(**وَأَنَا أُصَلِّى لِقَوْمِي**) أي: لأجلهم، والمراد أنه كان يؤمهم، وصرح بذلك أبو داود الطيالسي عن إبراهيم بن سعد.

(**فَإِذَا كَانَتِ الأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي**) وللطبراني (وإن الأمطار حين تكون يمنعني سيل الوادي).

(فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى) أي: مكان صلاة.

(**قَالَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**) علقه بمشيئة الله عملاً بقوله تعالى (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً. إلا أَنْ يَشَاءَ الله)، قال في الفتح: ويجوز أن يكون للتبرك، لاحتمال اطلاعه ﷺ بالوحي على الجزم بأن ذلك سيقع.

(**قَالَ عِتْبَانُ فَغَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ**) وعند مسلم في كتاب الإيمان (فأتى النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه)، وللطبراني من وجه آخر عن أنس (في نفر من أصحابه).

(**وَحَبَسْنَاهُ**) أي: منعناه من الرجوع.

(**عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَاهَا لَهُ**) نوع من الأطعمة، قال ابن رجب: والخزيرة: مرقة تُصنع من النخالة، وقيل: من الدقيق.

(**قَالَ فَثَابَ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ**) أي: جاءوا متواترين، بعضهم في إثر بعض، قاله ابن رجب.

(**مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذَوُو عَدَدٍ فَاجْتَمَعُوا**) وإنما جاءوا لسماعهم بقدوم النبي ﷺ .

(**فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ**) بضم الدال والشين، وسكون الخاء بينهما

(**فَقَالَ بَعْضُهُمْ ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**) اختلف من القائل.

(**فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ تَقُلْ ذَلِكَ**) أي: القول بأنه منافق.

(**أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**) وفي رواية (يبتغي بذلك وجه الله) أراد أنه مخلص في إيمانه.

(فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) المراد التحريم هنا تحريم التخليد.

١ – الحديث دليل على تواضع النبي ﷺ وحسن أخلاقه.

٢ – الحديث دليل على جواز استدعاء المفضول الفاضل لمصلحة تعرض.

٣ – الحديث دليل على جواز إمامة الزائر المزور برضاه.

٤ – البداءة بالأهم فالأهم، فإنه ﷺ في حديث عتبان هذا بدأ أول قدومه بالصلاة، ثم أكل، وفي حديث زيارته لأم سليم بدأ بالأكل، ثم صلى، لأن المهم في حديث عتبان هو الصلاة، فإنه دعاه لها، وفي حديث أم سليم دعته للطعام، ففي كل واحد من الحديثين بدأ بما دُعيَ إليه.

٥ – جواز إخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهة، ولا يكون من الشكوى.

٦ – جواز التخلف عن الجماعة في المطر والظلمة ونحو ذلك.

٧ – جواز اتخاذ موضع معين للصلاة في البيت.

٨ – صحة إمامة الأعمى، ففي حديث أَنَسٍ ﷺ (أَنَّ اَلنَّبِيَّ ﷺ اِسْتَخْلَفَ اِبْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، يَؤُمُّ اَلنَّاسَ، وَهُوَ أَعْمَى). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن البصير أولى من الأعمى.

وبه قال الحنفية واختاره ابن قدامة، واستدلوا :

أ–بأن ابن عباس قال: (كيف أمهم وهم يعدلوني إلى القبلة حين عمي) رواه عبد الرزاق.

وهذا فعل صحابي يدل على أن البصير أولى من الأعمى.

ب–وعللوا ذلك بتعليلين:

الأول: أن الأعمى قد لا يمكنه أن يصون ثيابه عن النجاسات بخلاف البصير فإنه يتجنب النجاسات

الثاني: أن البصير يستقبل القبلة باجتهاده، بخلاف الأعمى فإنه بتقليد غيره.

والصحيح أن الأعمى كالبصير سواء.

١–لحديث أنس السابق.

٢–وأيضاً ثبت ما يعارض فعل ابن عباس من فعله، فعن سعيد بن جبير قال: (أمنا ابن عباس وهو أعمى). رواه ابن أبي شيبة

٣- لعموم قوله ﷺ (يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله).

٤- (ولفعل ابن أم مكتوم). (أحكام الإمامة والائتمام).

وهذا هو الصحيح.

قال ابن قدامة رحمه الله: وأما الأعمى فلا نعلم في صحة إمامته خلافاً ، إلا ما حكي عن أنس ، أنه قال: ما حاجتهم إليه. وعن ابن عباس: أنه قال: كيف أؤمهم وهم يعدلونني إلى القبلة.

والصحيح عن ابن عباس أنه كان يؤم وهو أعمى، وعتبان بن مالك، وقتادة وجابر.

وقال أنس (إن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى) رواه أبو داود.

قال الصنعاني رحمه الله: والحديث دليل على صحة إمامة الأعمى من غير كراهة ذلك.

فائدة: الأعمى كالبصير لكن يستثنى:

أنه لا جهاد عليه، وأنه لا يجتهد في القبلة، لا دية في عينيه، لا يصح بيعه ولا شراؤه فيما يعتمد فيه على البصر.

٩ - جواز اتخاذ مكان معين للصلاة في البيت يتخذه مسجداً (مصلى) لكن لا يثبت له شيء من أحكام المساجد.

١٠ - الدفاع عن عرض المسلم.

١١ - أن التوحيد يمنع الخلود من النار، وتحريم التوحيد لأهله على النار نوعان:

أحدهما: تحريم دخول، وهذا حظ من كمُل توحيده.

والآخر: تحريم خلود، وهذا حظ من استحق التطهير بالنار من أهل التوحيد، فيدخلها ثم يُخرج منها ويُدخل الجنة فلا يخلد في النار أبداً.

١٢ - فضيلة كلمة التوحيد.

١٣ - تسوية الصفوف خلف الإمام.

١٤ - وجود مساجد في المدينة غير مسجد النبي ﷺ .

١٥ - أن المسجد في البيت لا يخرج عن ملك صاحبه.

١٦ - الوفاء بالوعد.

١٧ - جواز صلاة النوافل في جماعة دون تخصيص وقت معين ودعوة الناس إليه.

١٨ - جواز استتباع العالم من يذهب معه إذا علم أن الداعي لا يرفض.

١٩ - استحباب إذا ذهب العالم إلى مكان أن يجتمع عليه أهل ذلك المكان ليتعلموا منه.

٢٠ - إجابة الدعوة.

٢١ - وجوب التثبت في الأخبار.

٢٢ - السؤال عن من تخلف عن الجماعة لزيارته وتفقد أحواله.

٢٣ - الإستئذان على الداعي في بيته.

٢٤ - عدم الجلوس في بيت الداعي إلا في المكان الذي يريده.

٢٥ - جواز الصلاة إماماً برجل في سلطانه إذا أذن بذلك ورضي به.

٢٦ - يستحب لمن قال: سأفعل كذا، أن يقول: إن شاء الله.

٤١٨ – وعن عمر بن الخطاب ﷺ قَالَ (قدِم رَسُول الله ﷺ بسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبيًا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : أَتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟» قُلْنَا: لاَ وَاللهِ. فَقَالَ: «للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ) السبي: بفتح السين المهملة، وسكون الموحّدة: الأسير، من الغلمان والجواري، وكان هذا السبي من سبي هوازن، قاله في "الفتح".

(فَإِذَا امْرَأَةٌ) لا يُعرف اسمها.

(مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي) وفي رواية (تبتغي) من الابتغاء، وهو الطلب، قال القاضي عياض: وهذا وَهَمٌ، والصواب ما في رواية البخاريّ: "تسعى" بالسين، من السعي، وتعقّبه النوويّ، قائلًا: كلاهما صواب، لا وَهَم فيه، فهي ساعية، وطالبة مبتغية لابنها.

(إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا) من فرحها بوجدانه، وغاية محبتها له.

(وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَتَرَوْنَ) بضم الفوقية؛ أي: تظنون، ويَحْتَمِل أن يكون بفتح التاء، وهو أيضًا بمعنى: تظنّون.

(هَذِهِ طَارِحَةً) ملقية.

(وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لاَ) أي: لا نظن أنَّها طارحة، وقال القسطلانيّ: أي: لا تطرحه.

(وَهْيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ) أي: لا تطرحه طائعة أبدًا.

(فَقَالَ اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) فيه سعة رحمة الله.

١ – الحديث دليل على بيان شدّة رحمة الله تعالي، ورأفته بعباده، ففي هذا الحَديثِ تقريبٌ من رَسولِ اللهِ ﷺ لِسَعةِ رَحمةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ .

فرحمة الله واسعة.

كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ).

وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ).

وقال تعالى (ورحمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ).

وقد جاء في صحيح مسلم عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَد).

قال ابن كثير: وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ) أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث أوصى الوالدين بأولادهم، فعلم أنه أرحم بهم منهم، كما جاء في الحديث الصحيح: وقد رأى امرأة من السَّبْيِ تدور على ولدها، فلما وجدته أخذته فألْصَقَتْه بصَدْرها وأرضعته. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أَتَرَوْن هذهِ طارحةَ ولدها في النار وهي تَقْدِرُ على ذلك؟ " قالوا: لا يا رسول الله: قال: "فَوَاللهِ للَّهُ أَرْحَمُ بعبادِهِ من هذه بِوَلَدِهَا .

٢–الحديث دليل على أنه ينبغي للمسلم أن يكون رحيماً، فمن كان رحيماً رحمه الله.

ولهذا قال النبي ﷺ في حديث جرير (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) متفق عليه.

وقال ﷺ (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).

وقال ﷺ (لا تنزع الرحمة إلا من شقي).

وقال ﷺ (إن أبعد الناس من الله القلب القاسي).

فينبغي على العبد أن يتصف بصفة الرحمة:

فقد مدح بها أشرف رسله:

فقال (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ).

ومن أسمائه ﷺ (نبي الرحمة).

ومدح الصحابة بقوله (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) ، وخص أبو بكر من بينهم بقوله (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر).

وقال رسول الله ﷺ (يا أيها الناس! إنما أنا رحمة مهداة).

٣- في الحديث ضَرْبُ المثَلِ بما يُدرَكُ بالحواسّ لِمَا لا يُدرَكُ بها؛ لتَحصيلِ مَعرفةِ الشَّيءِ على وجْهِه، وإن كان الذي ضُرِبَ له المثَلُ لا يحاطُ بحقيقتِه.

٤-رحمة الأم بولدها .

٤١٩ - وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (لَمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ في كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي) وفي رواية: «غَلَبَتْ غَضَبِي» وفي رواية: «سَبَقَتْ غَضَبِي». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**لَمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ**) وفي رواية (قبلَ أن يَخلُقَ الخلقَ) قيل في الجَمعِ بَينَهُما: مَعناه: أراد أن يَخلُقَ الخلقَ.

(**كَتَبَ**) أي: كتابة حقيقيّة، لا مجازيّة، ودليل هذا رواية الترمذيّ وابن ماجة بلفظ (كتب ربكم على نفسه بيده ...) .

(**في كِتَابٍ**) يَحْتَمِل أن يكون المراد: اللوح المحفوظ، وَيحْتَمل أن يكون كتابًا آخر مختصًّا بهذا الأمر؛ تنويهًا بشأنه، ورفعًا لقدره .

١-الحديث دليل على بيان سعة رحمة الله تعالي، وهو كقوله - عَزَّوَجَلَّ – (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) .

٢-الحديث دليل على سَعَةِ رَحمةِ الله، وكَثرةِ فضلِه في حِلمِه قبلَ انتِقامِه، وعَفوِه قبلَ عُقوبَتِه.

٣-إثبات العرش ، وهو أعلى المخلوقاتِ وأكبَرُها وأعظَمُها، وَصَفَه اللهُ بأنَّه عَظيمٌ، وبأنَّه كَريمٌ؛ فوَصَفَه بالحُسنِ من جِهةِ الكَمِّيةِ، وبالحُسنِ من جِهةِ الكَيفيَّةِ.

٤٢٠ – وعنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (جَعَلَ الله الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذلِكَ الجُزءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرِهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ).

وفي رواية (إنّ للهِ تَعَالَى مئَةَ رَحمَةٍ، أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجنِّ وَالإنس وَالبهائِمِ وَالهَوامّ، فبها يَتعاطَفُونَ، وبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تَعَالَى تِسْعًا وَتِسْعينَ رَحْمَةً يرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَة) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ورواه مسلم أيضًا مِنْ رواية سَلْمَانَ الفارِسيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إنَّ للهِ تَعَالَى مِئَة رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسعُونَ لِيَومِ القِيَامَةِ) .

وفي رواية (إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ مَئَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأرضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَهَا بِهذِهِ الرَّحمَةِ) .

==========

(**جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ**) أي: الرحمة التي جعلها في عباده وهي مخلوقة، وأما الرحمة التي هي صفة من صفاته فهي قائمة بذاته –عَزَّ وَجَلَّ–، وقوله: "مائة رحمة"؛ أي: مائة نوع من الرحمة، أو مائة جزء، كما في الحديث الآخر. (عمدة القارئ).

وجاء في رواية للبخاري (جعل الله الرحمة في مائة جزء) قال الحافظ: خَلَت أكثر الطرق عن الظرف، كرواية سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة الآتية في "الرقاق": (إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة)، ولمسلم من رواية عطاء، عن أبي هريرة (إن لله مائة رحمة) وله من حديث سلمان (إن الله خلق مائة رحمة يوم خلق السماوات والأرض، كلّ رحمة طباق ما بين السماء والأرض).

(**فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا**) جاء في رواية أخرى (وأَخَّر عنده تسعة وتسعين رحمة"، وفي رواية (وخبأ عنده مائة إلَّا واحدة)

(وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا) وفي رواية (وأرسل في خلقه كلّهم رحمة) وفي رواية أخرى (أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ، والإنس، والبهائم) وفي حديث سلمان (فجعل منها في الأرض واحدة).

(**فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**) وفي الرواية الأخرى (فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها) وفي حديث سلمان (فبها تعطف الوالدة على ولدها، والوحش، والطير بعضها على بعض).

قال ابن أبي جمرة: خَصّ الفرس بالذِّكر؛ لأنَّها أشد الحيوان المألوف الذي يعاين المخاطبون حركته مع ولده، ولما في الفرس من الخفة والسرعة في التنقل، ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها.

١ – الحديث دليل على سعة رحمة الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– كما تقدم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي) متفق عليه.

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم.

وفي رواية (إِنَّ اللَّه تعالى خَلَقَ يَومَ خَلَقَ السَّمَواتِ والأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنها فِي الأَرْضِ رَحْمَةً فَبِها تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُها عَلَى بَعْضٍ فَإِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ، أَكْمَلَها بِهذِهِ الرَّحْمَةِ) رواه مسلم.

٢ – الحديث دليل على بيان عدد أقسام الرحمة، وأنه مائة جزء.

واختلف في الحكمة من هذا العدد:

فحكى القرطبي عن بعض الشراح: أن هذا العدد الخاصّ أُطلق لإرادة التكثير والمبالغة فيه.

وتعقبه بأنه لَمْ تَجْرِ عادة العرب بذلك في المائة، وإنما جرى في السبعين، كذا قال.

وقال ابن أبي جمرة: ثبت أن نار الآخرة تفضل نار الدنيا بتسع وستين جزءًا، فإذا قوبل كلّ جزء برحمة، زادت الرحمات ثلاثين جزءًا، فيؤخذ منه أن الرحمة في الآخرة أكثر من النقمة فيها، ويؤيده قوله: "غلبت رحمتي غضبي".

وقال الحافظ: لكن تبقى مناسبة خصوص هذا العدد: فيَحْتَمِل أن تكون مناسبة هذا العدد الخاصّ؛ لكونه مثل عدد درج الجَنَّة، والجنة هي محل الرحمة، فكان كلّ رحمة بإزاء درجة، وقد ثبت أنه لا يدخل أحد الجَنَّة إلَّا برحمة الله تعالي، فمن نالته منها رحمة واحدة كان أدنى أهل الجَنَّة منزلة، وأعلاهم منزلة من حصلت له جميع الأنواع من الرحمة. ... (الفتح).

والحقّ أنه لا يَعلم حكمة التجزئة إلى هذا العدد إلَّا من أخبر بذلك، فالسلامة الإيمان به والتسليم.

٣ – آثار رحمة الله تعالى:

من رحمة الله بعباده إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع لتستقيم حياتهم على سنن الرشاد بعيدا عن الضنك والعسر والضيق.

قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

وقال تعالى (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيم) .

ورحمته تعالى هي التي تدخل عباده المؤمنين الجنة يوم القيامة ولن يدخل أحد الجنة بعمله.

كما قال ﷺ: (لن يُدخل أحداً عمله الجنة) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب) متفق عليه.

وفتح الله أبواب رحمته لتائبين.

قال تعالى (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

وسمى الله وحيه إلى أنبيائه بالرحمة.

كما في قوله تعالى مخبراً عن نوح (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ) يشير إلى ما خصه الله به من الوحي والعلم والحكمة.

ورحمة الله تغلب غضبه.

كما في حديث أبي هريرة السابق (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).

ولله مائة رحمة:

كما في حديث الباب.

والله أرحم بعباده من الأم بولدها.

كما في حديث عمر المتقدم.

وعلى الإنسان أن يتصف بصفة الرحمة:

فقد مدح الله بها أشرف خلقه فقال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

وقال سبحانه (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ).

وقال سبحانه (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ).

ومن أسمائه ﷺ (نبي الرحمة).

وبيّن ﷺ أن الرحمة تنال عباده الرحماء:

قال ﷺ (إنما يرحم الله من عباده الرحماء).

وقال ﷺ (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله).

وطاعة الله ورسوله سبب للرحمة:

قال تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

وقال تعالى (وأقيموا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ).

وسمى الله كتابه العزيز بالرحمة:

قال تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ).

وسمى الله الجنة بالرحمة وهي أعظم رحمة خلقها الله لعباده الصالحين:

قال تعالى (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

٤٢١ – وعنه، عن النَّبيّ ﷺ فيما يحكِي عن ربهِ تبارك وتعالى، قَالَ (أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذنَبَ عبدي ذَنبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تبارك وتعالى: أَذنَبَ عَبدِي ذَنبًا، فَعَلِمَ أنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وقوله تَعَالَى: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» أيْ: مَا دَامَ يَفْعَلُ هكذا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أغفِرُ لَهُ، فَإنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

==========

١–قوله (**قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ**) أي: ما دُمت تُذنب، ثمَّ تتوب .

وقد روى الصديق عن النبي ﷺ (ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة) رواه الترمذي .

وعن ابن مسعود مرفوعاً (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) رواه ابن ماجة. فالتوبة تهدم ما قبلها.

قال المنذريّ – رحمه الله –: قوله: "فليعمل ما شاء" معناه: إذا كان هذا دأبه، يذنب الذنب، فيتوب منه، ويستغفر، فليفعل ما شاء؛ لأنه كلما أذنب كانت توبته، واستغفاره كفارة لذنبه، فلا يضرّه، لا أنَّه يذنب الذنب، فيستغفر منه بلسانه، من غير إقلاع، ثمَّ يعاوده، فإن هذه توبة الكذابين، ويدل له قوله: "ثمَّ أصاب ذنبًا آخر .

وقال النوويّ – رحمه الله –: معناه: ما دُمت تذنب، ثمَّ تتوب غفرت لك.

وقال الطيبيّ – رحمه الله –: أي: اعمل ما شئت ما دُمت تذنب، ثمَّ تتوب، فإني أغفر لك .

٢–الحديث دليل على فائدةِ الاستغفارِ، وكَثرةُ فضلِ اللهِ، وسَعةُ رَحمتِه وحِلمِه وكرَمِه.

قال القرطبيّ – رحمه الله –: هذا الحديث يدلّ على عظيم فائدة الاستغفار، وكثرة فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، ولا شكّ في أن هذا الاستغفار ليس هو الذي ينطق به اللسان، بل هو يثبت معناه في الجِنان، مقارنًا للسان؛ لتنحل به عقدة الإصرار، ويحصل معه الندم على ما سلف من الأوزار، فإذًا الاستغفار ترجمة التوبة .

٣–سعة رحمة الله بعباده وأنَّ الإنسان مهما أذنب ومهما فعل إذا تاب إليه وأناب إليه تاب اللهُ عليه.

٤-المؤمن بالله تعالى يأمل عفوَ ربِّه، ويخاف عقوبتَه، فيبادر إلى التوبة ولا يستمر على المعصية.

٥-**قال النووي** : في هذا الحديث أن الذنوب لو تكررت مائة مرة، بل ألفًا، أو أكثر، وتاب في كل مرة قُبلت توبته، أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحّت توبته.

٦-شروط التوبة الصحيحة: الإقلاع عن الذنب، والندم عليه، والعزم على عدم العودة إلى الذنب، وإذا كانت التوبة من مظالم العباد في مال أو عرض أو نفس، فتزيد شرطًا رابعًا، وهو: التَّحَلُّل من صاحب الحق، أو إعطاؤه حقَّه.

٧-في الحديث أن العود إلى الذنب، وإن كان أقبح من ابتدائه، لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها، لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم، والإلحاح في سؤاله، والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه. وهذا إقرار بالربوبية وإرجاع الأمر إليه سبحانه في قضيتي الثواب والعقاب كما في "علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب".

٨-أهمية العلم بالله الذي يجعل العبد عالما بأمور دينه فيتوب كلّما أخطأ، فلا ييأس ولا يتمادى .

٤٢٢ – وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ الله تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) رواه مسلم.

٤٢٣ – وعن أَبي أيوب خالد بن زيد ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ) رواه مسلم.

==========

١-الحديث دليل على أنه لا يسلم أحد من الخطأ والذنب، لكن أفضل هؤلاء من يتوب ويرجع إلى الله.

وقد قال ﷺ (لو لم تذنبوا لذهب بكم ولجاء بقوم ...).

وقد قال تعالى (يا عبادي إنكم تذنبون بالليل ...).

وقال ﷺ (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ) .

٢-بيان فضل الله تعالى على عباده بالعفو والمغفرة؛ فعلى المؤمن أن يبادر إلى الاستغفار ليغفر الله له.

٣-ليس في الحديث تحريض على المعصية؛ ولكن فيه تبشير بالمغفرة وإزالة لشدة الخوف واليأس من النفوس.

قال التوربشتيّ رحمه الله: لم يَرِد هذا الحديث مورد تسلية المنهمكين في الذنوب، وتوهين أمرها على النفوس، وقلة الاحتفال منهم بمواقعتها على ما يتوهمه أهل الغِرة بالله، فإن الأنبياء- صلوات الله عليهم- إنما بُعثوا ليردعوا الناس عن غشيان الذنوب، واسترسال نفوسهم فيها، بل ورد مورد البيان لعفو الله تعالى عن المذنبين، وحُسن التجاوز عنهم؛ ليعظموا الرغبة في التوبة وإلاستغفار.

فالمعنى المراد من الحديث: هو أن الله تعالى كما أحب أن يُحسن إلى المحسن أحب أن يتجاوز عن المسيء، وقد دلّ على ذلك غير واحد من أسمائه؛ كالغفار، والحليم، والتواب، والعفوّ، فلم يكن ليجعل العِبَاد شأنًا واحدًا؛ كالملائكة مجبولين على التنزه من الذنوب، بل يخلق فيهم من يكون بطبعه ميالًا إلى الهوى، مفتتنًا ومتلبسًا بما يقتضيه، ثم يكلفه التوقي عنه، ويحذره عن مداناته، ويعرّفه التوبة بعد الابتلاء، فإن وفّى فأجره على الله، وإن أخطأ الطريق فالتوبة بين يديه، فأراد النبيّ ﷺ : إنكم لو كنتم مجبولين على ما جُبلت عليه الملائكة لجاء الله بقوم يتأتى منهم الذنب، فيتجلى عليهم بتلك الصفات على مقتضى الحكمة، فإن الغفار يستدعي مغفورًا، كما أن الرزاق يستدعي مرزوقًا.

تنبيه :

ذكر سبب لهذا الحديث، فقد أخرج ابن عساكر عن أنس ﷺ؛ أن أصحاب النبيّ ﷺ شَكَوا إليه أنّا نُصيب من الذنوب، فقال لهم: "لولا أنكم تُذنبون لجاء الله بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم".

وأخرج البيهقيّ في "شعب الإيمان" عن عبد الله بن عمرو قال: أنزلت (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وأبو بكر قاعد، فبكى أبو بكر، فقال له رسول الله ﷺ : ما يبكيك يا أبا بكر؟ " قال: أبكاني هذه السورة، فقال له رسول الله ﷺ : لو أنكم لا تخطئون، ولا تذنبون، فيغفر لكم، لخَلَق الله أمة من بعدكم يخطئون، ويذنبون، فيغفر لهم .

٤-الله تعالى يحب التوبة والإنابة.

٥- الحكمة من وقوع الإنسان في المعصية؟

قال ابن تيمة: وإذا ابتلى العبد بالذنب، وقد علم أنه سيتوب منه ويتجنبه، ففي ذلك من حكمة الله ورحمته بعبده:

أن ذلك يزيده عبودية وتواضعاً وخشوعاً وذلاً ورغبة في كثرة الأعمال الصالحة ونفرة قوية عن السيئات، فإن النبي ﷺ قال (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين).

وذلك أيضاً يدفع عنه العُجب والخيلاء ونحو ذلك مما يعرض للإنسان.

وهو أيضاً يوجب الرحمة لخلق الله ورجاء التوبة والرحمة لهم إذا أذنبوا وترغيبهم في التوبة.

وهو أيضاً يبين من فضل الله وإحسانه وكرمه ما لا يحصل بدون ذلك، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم).

وهو أيضاً يبين قوة حاجة العبد إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه في أن يستعمله في طاعته ويجنبه معصيته، وأنه لا يملك ذلك إلا بفضل الله عليه وإعانته له، فإن من ذاق مرارة الابتلاء وعجزه عن دفعه إلا بفضل الله ورحمته، كان شهود قلبه وفقره إلى ربه واحتياجه إليه في أن يعينه على طاعته ويجنبه معصيته أعظم ممن لم يكن كذلك. ولهذا قال بعضهم كان داود ﷺ بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة. وقال بعضهم لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه.

ولهذا تجد التائب الصادق أثبت على الطاعة وأرغب فيها وأشد حذراً من الذنب من كثير من الذين لم يبتلوا بذنب.

وقال ابن القيم في طريق الهجرتين مبيناً الحكمة في ذلك:

السابع: مشهد الحكمة:

هو أن يشهد حكمة الله في تخليته بينه وبين الذنب، وإقداره عليه، وتهيئته أسبابه له، وأنه لو شاء لعصمه، وحال بينه وبينه، ولكنه خلى بينه وبينه لحكم عظيمة، لا يعلم مجموعها إلا الله:

أحدها: أنه يحب التَّوابين ويفرح بتوبتهم، فلمحبته للتوبة وفرحه بها، قضى على عبده بالذنب، ثم إذا كان ممن سبقت له العناية: قضى له بالتوبة.

الثاني: تعريف العبد عزة الله سبحانه في قضائه ونفوذ مشيئته وجريان حكمه.

الثالث: تعريفه حاجته إلى حفظه وصيانته، وأنه إن لم يحفظه ويصنه فهو هالك ولا بد، والشياطين قد مدت أيديها إليه تمزقه كل ممزق.

الرابع: استجلابه من العبد استعانته به، واستعاذته به من عدوه، وشر نفسه، ودعاءه، والتضرع إليه، والابتهال بين يديه.

الخامس: إرادته من عبده تكميل مقام الذل والانكسار، فإنه متى شهد صلاحه واستقامته، شمخ بأنفه وظن أنه وأنه .. فإذا ابتلاه بالذنب: تصاغرت عنده نفسه، وذلّ، وتيقن، وتمنى أنه وأنه.

السادس: تعريفه بحقيقة نفسه، وأنها الخطاءة الجاهلة، وأن كل ما فيها من علم أو عمل أو خير: فمن الله، منَّ به عليه، لا من نفسه.

السابع: تعريفه عبده سعة حلمه، وكرمه في ستره عليه، فإنه لو شاء لعاجله على الذنب، ولهتكه بين عباده، فلم يَصْفُ له معهم عيش.

الثامن: تعريفه أنه لا طريق إلى النجاة إلا بعفوه، ومغفرته.

التاسع: تعريفه كرمه في قبول توبته، ومعرفته له، على ظلمه وإساءَته.

العاشر: إقامة الحجة على عبده، فإن له عليه الحجة البالغة، فإن عذبته فبعدله وببعض حقه عليه بل اليسير منه.

الحادي عشر: أن يعامل عباده في إساءتهم إليه وزلاتهم معه، بما يحب أن يعامله الله به، فإن الجزاء من جنس العمل، فيعمل في ذنوب الخلق معه، ما يحب أن يصنعه الله بذنوبه.

الثاني عشر: أن يقيم معاذير الخلائق وتتسع رحمته لهم، مع إقامة أمر الله فيهم، فيقيم أمره فيهم رحمة لهم، لا قسوة وفظاظة عليهم.

الثالث عشر: أن يخلع صولة الطاعة والإحسان من قلبه، فتتبدل برقة ورأفة ورحمة.

الرابع عشر: أن يعريه من رداءِ العجب بعمله، كما قال النبي ﷺ: "لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَخِفْتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشدُّ مِنْهُ؛

الخامس عشر: أن يعريه من لباس الإدلال الذي يصلح للملوك، ويلبسه لباس الذل الذي لا يليق بالعبد سواه.

السادس عشر: أن يستخرج من قلبه عبوديته بالخوف والخشية، وتوابعهما من البكاء والإشفاق والندم.

السابع عشر: أن يعرف مقداره، مع معافاته وفضله في توفيقه وعصمته، فإن من تربى في العافية، لا يعرف ما يقاسيه المبتلى ولا يعرف مقدار العافية.

الثامن عشر: أن يستخرج منه محبته وشكره لربه إذا تاب إليه ورجع إليه، فإن الله يحبه ويوجب له بهذه التوبة مزيد محبة وشكر ورضا، لا يحصل بدون التوبة، وإن كان يحصل بغيرها من الطاعات أثر آخر، لكن هذا الأثر الخاص لا يحصل إلا بالتوبة.

التاسع عشر: أنه إذا شهد إساءته وظلمه، واستكثر القليل من نعمة الله، لعلمه بأن الواصل إليه منها كثير، على مسيء مثله، فاستقل الكثير من عمله، لعلمه بأن الذي يصلح له أن يغسل به نجاسته وذنوبه: أضعاف، أضعاف ما يفعله؛ فهو دائماً مستقل لعمله كائناً ما كان، ولو لم يكن في فوائد الذنب وحكمه إلا هذا وحده لكان كافياً.

٦-فيه مشروعيّة الحلف من غير استحلاف؛ إذا اقتضى المقام ذلك .

٤٢٤ – وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ (كُنَّا قُعُودًا مَعَ رَسُول الله ﷺ مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما، في نَفَرٍ فَقَامَ رَسُول الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ يُقتطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى قوله: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ : اذهَبْ فَمَن لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إلاَّ الله، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ) رواه مسلم. .

==========

(**حول رسول الله ﷺ**) أي جوانبه .

(**ومعنا أبو بكر وعمر**) قال النووي : هو من فصيح الكلام وحسن الإخبار فإنهم إذا أرادوا الإخبار عن جماعة فاستكثروا أن يذكروا جميعهم بأسمائهم ذكروا أشرافهم أو بعض أشرافهم .

(**فأبطأ علينا**) أي : تأخر من الرجوع إلينا .

(**وخشينا أن يقتطع دوننا**) قال النووي : أي يصاب بمكروه من عدو ، إما بأسر وإما بغيره ، قال القرطبي : أي يحال بيننا وبينه بأخذ أو هلاك .

(**وفزعنا**) أي ذعرنا لاحتباس النبي ﷺ عنا .

(**فقمنا**) قال القرطبي : أي تركنا ما كنا فيه ، وأقبلنا على طلبه .

(**فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ**) أي : أطلبه .

(**حتى أتيتُ حائطاً للأنصار**) أي بستاناً ، وسمي بذلك لأنه حائط لا سقف له .

١–قوله (**فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة**) معناه أخبرهم أن من كانت هذه صفته فهو من أهل الجنة ، وإلا فأبو هريرة لا يعلم استيقان قلوبهم .

٢–الحديث دليل فضل التوحيد وأن من شهد بالشهادة مستقيناً بها قلبه دخل الجنة .

٣–أن من شروط لا إله إلا الله اليقين .

ومن الأدلة على أن اليقين من شروط لا إله إلا الله :

قوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) .

وقال ﷺ (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيها إلا دخل الجنة) رواه مسلم .

٤–استحباب جلوس العالم لأصحابه ولغيرهم من المستفتين يعلمهم ويفيدهم ويفتيهم .

٥–فيه بيان ما كانت الصحابة عليه من القيام بحقوق رسول الله ﷺ وإكرامه والشفقة عليه .

٦–فيه اهتمام الأتباع بحقوق متبوعهم ، والاعتناء بتحصيل مصالحه ودفع المفاسد عنه .

٧–جواز دخول الإنسان ملك غيره بغير إذنه إذا علم أنه يرضى بذلك لمودة بينهما أو غير ذلك .

٨–وفيه أن الإيمان المنجي من الخلود في النار لابد فيه من الاعتقاد والنطق .

٤٢٥ – وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (أنَّ النَّبيّ ﷺ تَلاَ قَولَ الله عز وجل في إبراهيم ﷺ (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) الآية، وقَولَ عِيسَى ﷺ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَرَفَعَ يَدَيهِ وَقالَ: اللَّهُمَّ أُمّتي أُمّتي» وبَكَى، فَقَالَ الله عز وجل: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ –وَرَبُّكَ أَعْلَمُ– فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟» فَأَتَاهُ جبريلُ، فَأَخْبَرَهُ رسولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ –وَهُوَ أَعْلَمُ– فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا جِبريلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمّتِكَ وَلاَ نَسُوءكَ) رواه مسلم.

==========

(**تلا**) أي قرأ .

(**في إبراهيم**) أي مقالة إبراهيم .

(**رب إنهن أضللن كثيراً من الناس**) الضمير للأصنام المذكورة في قوله تعالى (واجبني وبني أن نعبد الأصنام) .

(**فمن تبعني**) أي تبع دعوتي .

(**اللهم أمتي أمتي**) أي : ارحم أمتي .

١- بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه بأمرهم .

٢- استحباب رفع اليدين في الدعاء .

٣- البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله شرفاً بما وعدها الله تعالى بقوله : سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها .

٤- بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ .

٥- الحكمة في إرسال جبريل لسؤاله ﷺ إظهار شرف النبي ﷺ وأنه بالمحل الأعلى فيسترضى ويكرم بما يرضيه .

٦- هذا الحديث موافق لقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) .

٧- حب النبي ﷺ ، لأنه ﷺ حريص علينا رفيق بنا يسعى في إيصال الخير .

٨- بكاء النبي ﷺ شفقة على أمته ، **وبكى النبي ﷺ في أحوال :**

فبكى ﷺ لما مات ابنه إبراهيم ، دمعت عيناه وبكى رحمة له .

وبكى لما قرأ عليه ابن مسعود سورة النساء وانتهى إلى قوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) .

وبكى لما مات عثمان بن مظعون .

وبكى لما كسفت الشمس .

وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته .

قال ابن القيم : وكان بكاؤه ﷺ تارة رحمة للميت ، وتارة خوفاً على أمته وشفقة عليها ، وتارة من خشية الله ، وتارة عند سماع القرآن .

٩- خطورة الشرك

١٠- أهمية التوحيد

١١- أن الأنبياء لا يملكون هداية الناس ، الهداية بيد الله .

١٢- الإيمان بجبريل .

١٣- أن عيسى عبد الله ليس بإله ، ففيه الرد على النصارى .

١٤- الأدب مع الله في الدعاء ، وذلك في قوله تعالى عن عيسى (إن تعذبهم فإنهم عبادك) قال ابن القيم : وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام ، أي شأنُ السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم ، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيداً لغيرك ، فإذا عذبتهم – مع كونهم عبيدك – فلولا أنهم عبيد سوءٍ من أبخس العبيد ، وأعتاهم على سيدهم وأعصاهم له ، لم تعذبهم ، لأن قربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، فلماذا يعذب أرحم الراحمين وأجود الأجودين وأعظم المحسنين إحساناً عبيده ؟ لولا فرط عتوهم، وإباؤهم عن طاعته ، وكمال استحقاقهم للعذاب .

٤٢٦ – وعن معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا» فقلتُ: يَا رَسُول الله، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

الحديث تقدم شرح مسائله في حديث أنس السابق (٤١٥) .

قوله (**هل تدري ما حق الله على العباد**) أي ما أوجبه عليهم بحكمه ، وألزمهم إياه بخطابه .

وقوله (**وحق العباد على الله**) هذا حق تفضل الله به على عباده ، ولم يوجبه عليه أحد . قال ابن أبي العز : فهذا حق وجب بكلماته التامة، ووعده الصادق ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم ، ولقد أحسن القائل :

ما للعبادِ عليهِ حقٌ واجبُ كلاَّ ولا سعْيٌ لديهِ ضائعُ .

إنْ عُذِّبُوا فبعدْلِهِ أو نُعِّموا فبِفَضْلِهِ وهو الكريمُ السامعُ .

والحديث دليل فضل التوحيد وأنه من أسباب النجاة .

وفيه بشارة عظيمة للموحدين الذين لا يشركون بالله تعالى شيئاً ، حيث وعدهم الله تعالى الذي لا يخلف وعده أن لا يعذبهم

أن أعظم الحقوق هو عبادة الله وعدم الإشراك به ، ولذلك أول وأعظم ما أمر الله به التوحيد ، وأعظم ما نهى عنه الشرك .

أهمية التوحيد وأنه يجب العناية به .

أن التوحيد نفي وإثبات .

تواضع النبي ﷺ لقوله (على حمار) ، وأيضاً كان يردف أصحابه .

جواز الإرداف على الدابة بشرط ألا يؤذيها ذلك .

ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم .

وقد سئل ﷺ عن أحب البقاع إلى الله ؟ فقال : لا أدري .

وقد قالت الملائكة (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) .

وقال ﷺ كما في حديث جبريل : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

وقال ابن مسعود : من كان عنده علم فليقل ، ومن لم يكن عنده علم فليقل : الله أعلم . وسئل الشعبي عن شيء فقال : لا أدري ، فقيل له : ألا تستحيي من قولك لا أدري وأنت فقيه العراقين ؟

فقال : لكن الملائكة لم تستح حين قالت سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا .

وقال البراء : لقد رأيتُ ثلاثمائة من أهل بدر ما منهم أحد إلا وهو يحبُّ أن يكفيَه صاحبُه الفتوى .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركتُ عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله يسأل أحدهم عن المسألة فيردها إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول .

وقال ابن وهب : وكنت أسمعه – أي مالكاً – كثيراً ما يقول : لا أدري ، ولو كتبنا عن مالك لا أدري لملأنا الألواح .

وقال ابن عباس : إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله .

وقال الشعبي : لا أدري نصف العلم .

وعن عقبة بن مسلم قال : صحبت ابن عمر أربعةً وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول : لا أدري ، ثم يلتفت فيقول : أتدري ما يريدون هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم .

قال ابن عيينة : أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً .

وقال مالك : ما أفتيت حتى شهد لي سبعون من أهل المدينة .

قال ابن القيم : وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا قال الله تعالى (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) .

وقيل : ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري لكثرة ما يقولها .

قال ابن جماعة : واعلم أن قول (لا أدري) لا يضع من قدر العالم كما يظنه بعض الجهلة ، بل هي رفعة له ، لأنه دليل على عظم محله وعلى ورعه وعلى تقواه وعلى طهارة قلبه ، إنما يأنف من قول (لا أدري) من ضعفت ديانته وقلت معرفته .

وقد أدب الله العلماء بقصة موسى مع الخضر حيث لم يرد موسى العلم إلى الله تعالى لما سئل : هل أحد في الأرض أعلم منك ؟

٤٢٧ – وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (المُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُول الله، فذلك قوله تَعَالَى (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَة) . مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

١–هذه الآية نزلت في عذاب القبر ، أي: في السؤال في القبر .

ولذلك في الرواية الأخرى : عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) قَالَ « نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ فَيُقَالُ لَهُ مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَنَبِيِّيَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) .

(فَيُقَالُ لَهُ) أي: للمؤمن .

(مَن رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّد ﷺ) وفي رواية النسائيّ: "وَدِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ أي: ويُسأل عن دينه، كما بيّن في رواية أخرى، فيقول (ديني دين محمد ﷺ) وفي رواية للبخاري (قال: إذا أُقعِد المؤمن في قبره، أُتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) .

(**يثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) أي: مدة حياتهم.

أي: يثبت الله تعالى الذين آمنوا بالقول الثابت أي: الصادق الذي لا شك فيه، في الحياة الدنيا، بأن يجعلهم متمسكين بالحق، ثابتين عليه دون أن يصرفهم عن ذلك ترغيب أو ترهيب.

فلا يضرهم الفتن ولا تشككهم الشبهات. فالعبد بحاجة إلى تثبيت الله تعالى.

كان ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك.

(**وَفِي الآخِرَةِ**) أي بعد الموت وذلك في القبر الذي هو أول منزل من منازل الآخرة، وفي مواقف القيامة، فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم هناك، ولا تدهشهم الأهوال.

قال السمعاني قَولُه: (**فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) يعني: قَبلَ الموتِ. وقَولُه (وَفِي الْآخِرَةِ) أي: في القَبرِ، وعليه أكثَرُ أهلِ التَّفسيرِ، وقَد ثَبَتَ ذلك عَنِ النَّبيِّ بروايةِ البراءِ بْنِ عازِبٍ، وهو قَولُ عَبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ، وعَبدِ اللَّهِ بنِ عَبَّاسٍ، وجَماعةٍ مِنَ الصَّحابةِ.

واعلَمْ أنَّ سُؤالَ القَبرِ ثابتٌ في السُّنَّةِ، والإيمانُ به واجِبٌ، وقَد ورَدَت فيه الأخبارُ الكَثيرةُ.

٢-الحديث دليل على إثبات فتنة القبر .

معنى فتنة القبر: هي سؤال الملكين الميت عن ربه ودينه ونبيه ، وهي ثابتة بالكتاب والسنة:

لحديث الباب .

وعن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – في حديث صلاة الكسوف، وفيه: قال ﷺ (وأنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال ...) متفق عليه .

وعنْ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ..) متفق عليه .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ – أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: ...) رواه الترمذي .

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، قَالَ: وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ) متفق عليه .

وعن عائشة – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: (فبي تفتنون وعني تسألون). رواه أحمد

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل). رواه أبو داود .

وعن أبي سعيدٍ الخُدريّ ﷺ، قال: شَهِدتُ مع رسولِ الله ﷺ جِنازةً، فقال رسولُ الله ﷺ (أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذه الأمَّةَ تُبتَلَى في قُبورِها، فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتفَرَّقَ عنه أصحابُه، جاءه ملَكٌ في يَدِه مِطراقٌ فأقعَدَه، قال: ما تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فإن كان مؤمِنًا قال: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: صَدَقتَ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، فيقولُ: هذا كان مَنزِلَك لو كفَرْتَ برَبِّك، فأمَّا إذ آمنتَ فهذا مَنزِلُك، فيُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ، فيريدُ أن ينهَضَ إليه، فيقولُ له: اسكُنْ، ويُفسَحُ له في قَبرِه.

وإن كان كافِرًا أو مُنافِقًا يقولُ له: ما تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟ فيقولُ: لا أدري، سَمِعتُ النَّاسَ يقولونَ شَيئًا! فيقولُ: لا دَرَيتَ، ولا تَلَيتَ، ولا اهتَدَيتَ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى الجَنَّةِ فيقولُ: هذا مَنزِلُك لو آمنْتَ برَبِّك، فأمَّا إذ كفَرْتَ به فإنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أبدَلَك به هذا، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النَّارِ، ثمَّ يَقمَعُه قَمعةً بالمِطراقِ يَسمَعُها خَلقُ اللهِ كُلُّهم غيرَ الثَّقَلينِ. فقال بعضُ القَومِ: يا رسولَ اللهِ، ما أحدٌ يقومُ عليه ملَكٌ في يَدِه مِطراقٌ إلَّا هِيلَ عند ذلك! فقال رسولُ اللهِ ﷺ : يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) رواه أحمد .

قال القرطبي : وفتنة القبر: هي الضلال عن صواب إجابة الملَكين فيه، وهما : منكر ونكير .

الذي يقوم بالفتنة في القبر، هما: منكر ونكير.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إذا قبر الميت، أو قال: أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ...) .

يقال للموقن المؤمن (نم صالحاً).

وجاء في حديث أبي سعيد عند سعيد بن منصور (فيقال له: نَم نومة عروس، فيكون في أحلى نومة نامها أحد حتى يبعث).

وللترمذي من حديث أبي هريرة (يقال له: نم، فينام نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك).

وفي حديث أنس في الصحيحين (فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً).

ولابن حبان وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأحمد من حديث عائشة (ويقال له: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله).

وفي الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة (فيُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، ويُنَوّرُ له كالقمر ليلة البدر).

وفي حديث البراء (فينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، أفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً في الجنة، وألبسوه من الجنة، قال: فيأتيه من روْحها وطيبها، ويُفسح له مدّ بصره).

والمنافق إذا قيل له: ما علمك بهذا الرجل فإنه يقول: لا أدري.

وجاء من حديث أنس في الصحيحين (فيقولان: لا دريت ولا تليت).

ولعبد الرزاق (لا دريت، ولا أفلحت، ويضربانه بمطرقة من حديد ضربة).

وفي حديث البراء (لو ضُرب بها جبل لصار تراباً).

وفي حديث أسماء (ويُسلّط عليه دابة في قبره، معها سوط ...).

وفي حديث أبي هريرة وعائشة وأبي سعيد (ثم يُفتح له باب إلى الجنة، فيقال له: هذا منزلك لو آمنت بربك، وأما إذ كفرت، فإن الله أبدلك هذا، ويُفتح له باب إلى النار).

زاد في حديث أبي هريرة (فيزداد حسرة وثبوراً، ويضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه).

وفي حديث البراء (فينادي منادٍ من السماء: أفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسَمومها).

٣- اختلف العلماء : هل السؤال خاص بهذه الأمة أم هو عام على قولين :

القول الأول: أن السؤال خاص بهذه الأمة. أدلتهم:

أ- لقوله ﷺ (إن هذه الأمة تبتلى في قبورها). رواه مسلم .

ب- ولقوله ﷺ (ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم ...). متفق عليه

ج- ولقوله ﷺ (فبي تفتنون وعني تسألون). رواه أحمد

القول الثاني: أن السؤال لجميع الأمم، واحتجوا بألفاظ العموم، مثل:

أ- قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا ...).

ب- وحديث البراء الطويل (إن العبد المؤمن ... وإن العبد الكافر ...) فكلمة العبد تصدق على جميع العباد المؤمنين والكفار من هذه الأمة وغيرها.

ورجح هذا القول عبد الحق الإشبيلي والقرطبي وابن القيم، وتوقف في ذلك ابن عبد البر.

والظاهر أن السؤال عام لجميع الأمم.

٤- الذين لا يفتنون:

أ- الأنبياء.

لأن الأنبياء يُسأل عنهم، فيقال للميت: من نبيك؟.

ب- الشهداء.

عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال (يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة) رواه النسائي.

ج- الصديق.

قيل: لا يسأل.

إذا كان الشهيد لا يفتن، فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً أن لا يفتن.

لأنه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء.

وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن، فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد.

وقيل: يسأل.

قال ابن القيم: الأحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره. والله أعلم.

وهذا القول هو الراجح.

د- المرابط.

قال ﷺ (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان). رواه مسلم .

هـ- الأطفال والمجانين.

اختلف هل يفتنون:

فقال بعضهم: إنهم لا يفتنون لدخولهم في العموم.

وقال بعضهم: إن المجانين والصغار لا يسألون، لأنهم غير مكلفين.

٥-فضل الله على عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة بتثبيتهم على القول الثابت.

٦-فضل شهادة التوحيد والموت عليها.

٧-تثبيت الله للمؤمن في الدنيا بالثبات على الإيمان، وسلوك الصراط المستقيم، وعند الموت بالموت على التوحيد، وفي القبر عند سؤال الملكين .

٤٢٨ – وعن أنس ﷺ عن رَسُول الله ﷺ قَالَ (إنّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ) .

وفي رواية (إنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حسنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ. وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أفْضَى إِلَى الآخرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا) رواه مسلم.

==========

١-هذا الحديث يتكلم عن عمل الكافر – أعمال الخير والحسنات في الدنيا – إذا مات على كفره :

والانتفاع بها يكون إما في الآخرة وإما في الدنيا :

أولاً : في الأخرة : باطلة ولا تنفعه يوم القيامة.

كما قال تعالى (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً).

وقال تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ).

وقال تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ).

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ قَالَ « لاَ يَنْفَعُهُ إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) رواه مسلم .

قال النووي: معنى الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة، لكونه كافراً، وهو معنى قوله ﷺ رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، أي لم يكن مصدقاً بالبعث، ومن لم يصدق به كافر ولا ينفعه عمل.

ب–في الدنيا : يجزى صحة في الدنيا وسعة في الرزق والولد .

لحديث الباب .

قال النووي : أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْكَافِر الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْره لَا ثَوَاب لَهُ فِي الْآخِرَة ، وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَله فِي الدُّنْيَا ، مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّه تَعَالَى ، وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّهُ يُطْعَم فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنْ الْحَسَنَات ، أَيْ : بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّه تَعَالَى مِمَّا لَا يَفْتَقِر صِحَّته إِلَى النِّيَّة ، كَصِلَةِ الرَّحِم وَالصَّدَقَة وَالْعِتْق وَالضِّيَافَة وَتَسْهِيل الْخَيْرَات وَنَحْوهَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيُدَّخَر لَهُ حَسَنَاته وَثَوَاب أَعْمَاله إِلَى الْآخِرَة ، وَيُجْزَى بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا ، وَلَا مَانِع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة ، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْع بِهِ فَيَجِب اِعْتِقَاده .

قال الشيخ الألباني : تلك هي القاعدة في هذه المسألة: أن الكافر يجازى على عمله الصالح شرعاً في الدنيا، فلا تنفعه حسناته في الآخرة، ولا يخفف عنه العذاب بسببها فضلاً عن أن ينجو منه .

٢-الحديث دليل على فَضلُ الإيمانِ وأنَّه الرُّكنُ الأساسيُّ لقَبولِ أعمالِ العِبادِ.

وكما قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً).

وقال تعالى (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَاب).

٣-الحديث دليل على التَّحذيرُ منَ الشِّركِ وبيانُ شُؤمِ الكُفرِ، وأنَّه مِن مُحبِطاتِ الأعمالِ الصَّالحاتِ.

٤-الحديث دليل على أنَّ مَن ماتَ على الكُفرِ لا يَنفَعُه عَملٌ.

٥-بيان عدل الله مع عباده بأن يوفيهم أجورهم حتى الكفرة الفجرة.

٤٢٩ – وعن جابر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْم خَمْسَ مَرَّات) رواه مسلم.

«**الغَمْرُ**»: **الكَثِيرُ**.

==========

١-الحديث دليل على فضل الصوات الخمس ، وأنها سبب لتكفير الذنوب والسيئات .

وقد جاء في الصحيحين : أبي هريرة. أن رسول الله ﷺ قال (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ». قَالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا) .

قال ابن رجب: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لمحو الخطايا بالصلوات الخمس، فجعل مثل ذلك مثل من ببابه نهر يغتسل فيه كل يوم خمس مرار، كما أن درنه ووسخه ينقى بذلك حتى لا يبقى منه شيء، فكذلك الصلوات الخمس في كل يوم تمحو الذنوب والخطايا حتى لا يبقى منها شيء.

وقال: وتمثيله بالنهر: هو مبالغة في إنقاء الدرن، فإن النهر الجاري يذهب الدرن الذي غسل فيه ولا يبقى له فيه أثر، بخلاف الماء الراكد، فإن الدرن الذي غسل فيه يمكث في الماء، وربما ظهر مع كثرة الاغتسال فيه على طول الزمان، ولهذا روي النهي عن الاغتسال في الماء الدائم كما سبق ذكره في الطهارة.

وقال ابن حجر: وفائدة التمثيل التأكيد، وجعل المعقول كالمحسوس.

وقال ابن العربي: وجه التمثيل، أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه، ويُطهره الماء الكثير، فكذلك الصلوات تُطهّر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تُبقي له ذنباً إلا أسقطته وكفّرته .

٢ – أن التكفير هنا المراد به الصغائر .

لقوله في حديث أبي هريرة الآتي (الصلوات الخمس مكفرات لما بينهم إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ) .

فأما الكبائر فلابد من التوبة منها، وهذا مذهب جماهير العلماء.

ذكره ابن عبد البر اتفاقاً، وذكره ابن رجب عن الجمهور.

قال ابن رجب: واستدل بذلك بعض من يقول: إن الصلاة تكفر الكبائر والصغائر، لكن الجمهور القائلون بأن الكبائر لا يكفرها مجرد الصلاة بدون توبة، يقولون: هذا العموم خص منه الكبائر بما خرجه مسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال (الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر).

وفيه – أيضا – عن عثمان، عن النبي ﷺ قال (ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها؛ إلا كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة وكذلك الدهر كله).

وخرج النسائي، وابن حبان، والحاكم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال (والذي نفسي بيده، ما من عبد يصلي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويخرج الزكاة، ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة، ثم قيل له: ادخل بسلام).

وخرج الإمام أحمد، والنسائي من حديث أبي أيوب، عن النبي ﷺ معناه أيضاً.

وقال ابن مسعود: الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.

وروي عنه مرفوعاً. والموقوف أصح.

وقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس؛ فإنهن كفارة لهذه الجراح، ما لم تصب المقتلة.

وقد حكى ابن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك، وأن الكبائر لا تكفر بمجرد الصلوات الخمس، وإنما تكفر الصلوات الخمس الصغائر خاصة.

وقد ذهب طائفة من العلماء، منهم: أبو بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا – إلى أن اجتناب الكبائر شرط لتكفير الصلوات الصغائر، فإن لم تجتنب الكبائر لم تكفر الصلوات شيئاً من الصغائر، وحكاه ابن عطية في " تفسيره " عن جمهور أهل السنة؛ لظاهر قوله (ما اجتنبت الكبائر).

والصحيح الذي ذهب إليه كثير من العلماء، ورجحه ابن عطية، وحكاه عن الحذاق: أن ذلك ليس بشرط، وأن الصلوات تكفر الصغائر مطلقاً إذا لم يصر عليها، فإنها بالإصرار عليها تصير من الكبائر. (فتح الباري لابن رجب).

وقال القرطبي: وظاهر هذا الحديث: أن الصلوات بانفرادها تستقل بتكفير جميع الذنوب كبائرها وصغائرها، وليس الأمر كذلك؛ لاشتراطه في الحديث المتقدم الكبائر، فدل ذلك على أن المكفَّر بالصلوات هي جميع الصغائر إن شاء الله، وقد تقدم القول في ذلك في كتاب الإيمان.

٣–لحديث دليل على أن الصلوات المفروضة عددها خمس.

أ–عن أبي هريرة . أن رَسُول الله ﷺ قَالَ (الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّراتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ)) رواه مسلم.

ب– ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ». قَالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا) متفق عليه.

ج–وعن طَلْحَة بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قال (جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلاَ نَفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهُنَّ قَالَ «لاَ. إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ». فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهُ فَقَالَ «لاَ. إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ». وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ فَقَالَ هَلْ عَلَىَّ غَيْرُهَا قَالَ «لاَ. إِلاَّ أَنْ تَطَّوَّعَ» قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ مِنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ) متفق عليه.

٤ – بيان فضل الله تعالى العظيم على هذه الأمة المرحومة، حيث يُكفر عنها الخطايا بالصلوات الخمس.

٥ – ضرب المثل في التعليم.

٦ – طهورية الأنهار.

٧ – التعليم بطريقة السؤال والجواب.

٨ – أن الحسنات يذهبن السيئات.

٤٣٠ – وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول (مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعونَ رَجُلًا لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا، إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيه) رواه مسلم.

==========

(مَا مِنْ رَجُلٍ) خرج مخرج الغالب وإلا فالمرأة مثله.

(لَا يُشْرِكُونَ بِاَللَّهِ شَيْئًا) شيئاً: نكرة في سياق النفي، فيشمل الشرك الأكبر والأصغر.

(إِلَّا شَفَّعَهُمْ اَللَّهُ فِيهِ) أي: قبل شفاعتهم.

١-الحديث دليل على استحباب تكثير المصلين على الميت ، فكلما كثر الجمع كان أفضل وأنفع.

أ- لحديث الباب.

ب-وعن عائشة. قالت. قال رسول الله ﷺ (ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين، يبلغون مائة، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه) رواه مسلم.

٢-ما الجمع بين حديث ابن عباس (فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا) وحديث عائشة (يبلغون مائة)؟

قال القرطبي : قيل: سبب هذا الاختلاف: اختلاف السؤال، وذلك أنه سئل مرَّة أخرى عمَّن صلّى عليه مائةٌ واستشفعوا له، فقال (شفعوا) وسئل مرَّة أخرى عمَّن صلّى عليه أربعون، فأجاب بذلك. ولو سئل عن أقلَّ من ذلك، لقال ذلك، والله أعلم؛ إذ قد يستجاب دعاء الواحد، ويقبل استشفاعه. وقد روي عنه ﷺ أنه قال (مَن صلّى عليه ثلاثة صفوف شُفِّعوا فيه)، ولعلهم يكونون أقلَّ من أربعين.

وقال النووي: ويحتمل أن يكون النبي ﷺ أخبر بقبول شفاعة مائة، فأخبر به ثم بقبول شفاعة أربعين ثم ثلاث صفوف وإن قل عددهم فأخبر به، ويحتمل أيضاً أن يقال هذا مفهوم عدد ولا يحتج به جماهير الأصوليين، فلا يلزم من الإخبار عن قبول شفاعة مائة منع قبول ما دون ذلك، وكذا في الأربعين مع ثلاثة صفوف، وحينئذ كل الأحاديث معمول بها ويحصل الشفاعة بأقل الأمرين من ثلاثة صفوف وأربعين.

٣-يشرط في هذه الشفاعة للميت عدم الشرك بالله، سواء الشرك الأكبر أو الأصغر.

فالمشرك الأكبر لا تصح صلاته.

والمشرك الأصغر لا تقبل شفاعته.

٤-فضل التوحيد بالله.

٥-التحذير من الشرك.

٦-أنه لو صلى على الميت أمة أكثر من الأربعين لكنهم فيهم شرك لم يحصل هذا الفضل الوارد في الحديث.

٧-لا ينفع كثرة المصلين ما لم يكونوا متقين.

٨-أن قلة المصلين مع التقوى والخشية وعدم الشرك أفضل.

٩-إثبات الشفاعة للمؤمنين.

٤٣١ – وعن ابن مسعود ﷺ قَال (كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ فِي قُبَّة نَحْوًا مِنْ أربَعِينَ، فَقَالَ: «أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بيَدِهِ، إنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ وذلك أنَّ الجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا إلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ومَا أَنْتُم فِي أَهْلِ الشِّركِ إلاَّ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جلدِ الثَّورِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ فِي جلدِ الثَّورِ الأَحْمَر) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**فِي قُبَّة**) القبّة من الخيام: بيت صغير مستدير، وهو من بيوت العرب. (النهاية) .

(**أَتَرْضَونَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**) وفي رواية (فكبرنا) وفي حديث أبي سعيد ﷺ (فحمدنا الله، وكبّرنا) وفي رواية البخاريّ (قلنا: نعم) في رواية (قالوا: بلى) وفي حديث ابن عباس عند البخاريّ (ففرحوا) .

وفي ذلك كله دلالة على أنهم استبشروا بما بَشَّرهم به، فحمدوا الله على نعمته العظمى، وكبّروه استعظامًا لنعمته بعد استعظامهم لنقمته.

١–الحديث دليل على أن هذه الأمة نصف أهل الجنّة .

٢–مشروعيّة الحمد والتكبير عند الفرح والسرور، وعند استعظام الأمور، فقد كبّر الصحابة ﷺ، وحمدوا الله تعالى؛ لسرورهم بهذه البشارة العظيمة .

٣–أن في عدم قول النبيّ ﷺ في أول الأمر (أما ترضون أن تكونوا شطر أهل الجَنَّة) بل أخبرهم بالتدريج، فائدةً حسنةً :

وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم، وأبلغ في إكرامهم، فإن إعطاء الإنسان مرّةً بعد أخرى دليل على الاعتناء به، ودوام ملاحظته.

وفيه فائدة أخرى أيضًا، وهي تكريره ﷺ البشارة مرّة بعد أخرى.

وفيه أيضًا حَمْلَهم على تجديد شكر الله تعالى، وتكبيره، وحمده على كثرة نعمه.

٤–الحديث دليل على أن من مات على الكفر لا يدخل الجنة أصلاً وهذا بإجماع المسلمين .

كما قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) .

وقال ﷺ (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ...) . رواه مسلم

٥–في هذا الحديث أن هذه الأمة نصف أهل الجنة ، وقد جاء في الحديث الذي عند أحمد في مسنده (أن أهل الجنة عشرون ومائة صف ، هذه الأمة منها ثمانون صفاً) .

والجمع :

قال النووي : هذا الحديث دليل على أنهم يكونون ثلثي أهل الجنة ، فيكون النبي ﷺ أخبر أولاً بحديث الشطر ثم تفضل الله سبحانه بالزيادة ، فأعلم بحديث الصفوف فأخبر به ﷺ بعد ذلك .

٦– أن عدد هذه الأمة قليل جدا، مقابلَ من سبق من الأمم، فالنبي ﷺ بعث في آخر الزمان، ومن آدم عليه السلام إلى زمنه ﷺ أزمان متطاولة لا يعلمها إلا الله، وأمم لا يعلمها إلا الله.

قال الله تعالى (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) .

ولذا جاء في الحديث (مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَد) .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى : وقول رسول الله ﷺ (ما أنتم في الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض) : هذا عنه عليه السلام ثابت، وهو عليه السلام لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامِح بشيءٍ من الباطل، لا بإعياء ولا بغيره.

وهذه نسبة: من تدبرها، وعرف مقدار عداد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر؛ علم أن للدنيا عددا لا يحصيه إلا الله تعالى.

وكذلك قوله ﷺ (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ) وضم أصبعيه المقدستين، السبابة والوسطى.

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله عز وجل لا أحد سواه، فصح أنه عليه السلام إنما عني شدة القرب...

وله عليه السلام مذ بعث أربعمائة عام ونيف، والله أعلم بمقدار ما بقي من الدنيا.

فإذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف، لقلته وتفاهته بالإضافة إلى ما مضى؛ فهذا الذي قاله عليه السلام؛ من أننا فيمن مضى كالشعرة في الثور . (الفصل) .

٧-حرص النبي ﷺ وكمال شفقته على أمته .

٨-جواز الحلف من غير استحلاف .

٩-جواز الحلف في الأمور المهمة .

٤٣٢ – وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِم يَهُودِيًا أَوْ نَصْرانِيًا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ) .

وفي رواية عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَال الجِبَالِ يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ». رواه مسلم .

==========

١-معنى الحديث :

قال النووي رحمه الله : (الْفَكَاك): الْخَلَاص وَالْفِدَاء . وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيث مَا جَاءَ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة : لِكُلِّ أَحَد مَنْزِل فِي الْجَنَّة وَمَنْزِل فِي النَّار ؛ فَالْمُؤْمِن إِذَا دَخَلَ الْجَنَّة : خَلَفَه الْكَافِر فِي النَّار لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِكُفْرِهِ ، مَعْنَى (فَكَاكك مِنْ النَّار) أَنَّك كُنْت مُعَرَّضًا لِدُخُولِ النَّار ، وَهَذَا فَكَاكك ; لِأَنَّ اللَّه تَعَالَى قَدَّرَ لَهَا عَدَدًا يَمْلَؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّار بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبهمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى الْفَكَاك لِلْمُسْلِمِينَ . (شرح مسلم للنووي) .

وقَالَ الْقَاضِي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : لَمَّا كَانَ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ مَقْعَدٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدٌ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ آمَنَ حَقَّ الْإِيمَانِ بُدِّلَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ بِمَقْعَدٍ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَبِالْعَكْسِ ، كَانَتِ الْكَفَرَةُ كَالْخَلَفِ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي مَقَاعِدِهِمْ مِنَ النَّارِ ، وَالنَّائِبِ مَنَابَهُمْ فِيهَا، وَأَيْضًا لَمَّا سَبَقَ الْقَسَمُ الْإِلَهِيُّ بِمَلْءِ جَهَنَّمَ ، كَانَ مَلْؤُهَا مِنَ الْكُفَّارِ خَلَاصًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَنَجَاةً لَهُمْ مِنَ النَّارِ، فَهُمْ فِي ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ كَالْفِدَاءِ وَالْفِكَاكِ ، وَلَعَلَّ تَخْصِيصَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالذِّكْرِ ; لِاشْتِهَارِهِمَا بِمُضَادَّةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمُقَابَلَتِهِمَا إِيَّاهُمْ فِي تَصْدِيقِ الرَّسُولِ الْمُقْتَضِي لِنَجَاتِهِمْ . (مرقاة المفاتيح) .

٢-أن الكفار مأواهم النار .

٣-سعة رحمة الله تعالى .

٤-لايخلد الموحد في النار .

٥-كل من لم يؤمن بالرسول ﷺ محمد فهو كافر .

٤٣٣ – وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول (يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَة مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، فيقولُ: أتعرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَى صَحيفَةَ حَسَنَاتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

«كَنَفَهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

==========

(يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ) أي: دنو يليق بجلاله تعالى.

(حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ) بفتح الكاف والنون بعدها فاء أي: جانبه، والكنف أيضًا السِّتر، وهو المراد هنا، والأول مجاز في حقّ الله تعالى.

(فَيَقُولُ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا) جاء في رواية (فيقرره بذنوبه) أي: يحمله على أن يعترف بها، ويقرّرها على نفسه.

(ثُمَّ يَقُولُ إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا) حيث لم أطلع عليها أحداً من الناس.

(فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْم) وفي رواية (اذهب فقد غفرتها لك).

١ – الحساب يوم القيامة نوعان:

النوع الأول: حساب عرض.

وهذا يخص المؤمن، يُسأل عن عمله وعلمه ونعمة الله التي منّ بها عليه، فيجيب بما يشرح صدره ويثبت حجته ويديم نعمة الله عليه.

وإذا عرضت عليه ذنوبه أقر بها فيسترها الله عليه ويتجاوز عنه فهذا لا يناقش الحساب ولا يدقق عليه ولا يحقق معه، ويأخذ كتابه بيمينه، وينقلب إلى أهله في الجنة مسروراً؛ لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب.

روى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ) قَالَتْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)؟ قَالَ (ذَلِكِ الْعَرْض).

قال الحافظ رحمه الله: " قَالَ الْقُرْطُبِيّ: مَعْنَى قَوْله " إِنَّمَا ذَلِك الْعَرْضُ " أَنَّ الْحِسَابَ الْمَذْكُورَ فِي الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تُعْرَضَ أَعْمَالُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْرِفَ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي سَتْرِهَا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي عَفْوِهِ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ " انتهى.

وروى أحمد عن عَائِشَةَ قالت: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ فَقَالَ: (الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يُتَجَاوَزُ لَهُ عَنْهَا إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: المؤمن يحاسب ولكنه ليس حساب مناقشة، لقول النبي ﷺ (من نوقش الحساب هلك –أو قال– عذب) لكنه حساب عرض.

٢ – بيان فضل سَتر المؤمن على نفسه في الدنيا إذا وقع منه مخالفة؛ لأن ذلك يكون سببًا لمغفرة الله تعالى له ذلك في الآخرة.

٣ – ما قاله المهلَّب –رحمه الله–: في الحديث تفضُّل الله على عباده بسَتره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان؛ لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يَضع عليه كنفه وسِتره أحدًا إلا الكفار والمنافقين، فإنهم الذين يُنادَى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة، قال الحافظ بعد نقل كلام المهلّب المذكور ما نصّه: قد استشعر البخاريّ هذا، فأورد في "كتاب المظالم" هذا الحديث، ومعه حديث أبي سعيد: "إذا خَلَص المؤمنون من النار، حُبِسوا بقنطرة بين الجنة والنار، يتقاصّون مظالم ، كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا، ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة ... " الحديث، فدلّ هذا

الحديث على أن المراد بالذنوب في حديث ابن عمر: ما يكون بين المرء وربه سبحانه وتعالي دون مظالم العباد، فمقتضى الحديث أنها تحتاج إلى المقاصصة، ودلّ حديث الشفاعة أن بعض المؤمنين من العصاة يُعذَّب بالنار، ثم يخرج منها بالشفاعة، كما تقدم تقريره في "كتاب الإيمان" فدلّ مجموع هذه الأحاديث على أن العُصاة من المؤمنين في القيامة على قسمين:

أحدهما: مَن معصيته بينه وبين ربه، فدلّ حديث ابن عمر على أن هذا القِسم على قِسمين: قِسْم تكون معصيته مستورة في الدنيا، فهذا الذي يسترها الله عليه في القيامة، وهو بالمنطوق، وقسم تكون معصيته فجاهَرة، فدلّ مفهومه على أنه بخلاف ذلك.

والقسم الثاني: مَن تكون معصيته بينه وبين العباد، فهم على قسمين أيضًا: قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم، فهؤلاء يقعون في النار، ثم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم، فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاصّ، كما دلّ عليه حديث أبي سعيد.

وهذا كله بناء على ما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة أن يفعله باختياره، وإلا فلا يجب على الله شيء، وهو يفعل في عباده ما يشاء. (الفتح)

٤ – إثبات الكلام لله تعالى.

٥ – إثبات يوم القيامة.

٦ – أعمال العباد كلها يحصيها الله تعالى.

٧ – بيان عظمة الله وقدرته على تقرير جميع الخلق في موقف واحد.

٨ – الواجب التسليم لأمور الغيب؛ لأن هذه الأمور لا يدركها العقل.

٩ – فيه حجة لأهل السنة أن أهل الذنوب من المؤمنين لا يكفرون بالمعاصي كما زعمت الخوارج.

٤٣٤ – وعن ابن مسعود ﷺ: (أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِن امْرَأَة قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى: (وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات) فَقَالَ الرجل: أَلِيَ هَذَا يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «لجميعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

٤٣٥ – وعن أنس ﷺ قَالَ (جاء رجل إِلَى النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُول الله ﷺ فَلَمَّا قَضَى الصَّلاةَ، قَالَ: يَا رَسُول الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ») مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

==========

(**أَنَّ رَجُلاً**) قال الحافظ: هو أبو اليسر الأنصاري، رواه الترمذي، وقيل: غيره، ولم أقف على اسم المرأة المذكورة، لكن جاء في بعض الأحاديث أنها من الأنصار.

(**أَصَابَ مِنَ امْرَأَةٍ قُبْلَةً**) وعند مسلم (أنه أصاب من امرأة قبلة أو مساً بيد أو شيئاً، كأنه يسأل عن كفارة ذلك).

(**فَأَنْزَلَ اللَّهُ :أَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ**) اختلف في المراد بطرفي النهار، فقيل: الصبح والمغرب، وقيل: الصبح والعصر.

(**أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ**) مَعنَاهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيْسَ المرَادُ الحدّ الشَّرعيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالخمر وَغَيرِهِمَا، فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصَّلاةِ، وَلاَ يَجُوزُ للإمَامِ تَرْكُهَا.

١ – الحديث دليل على الحسنات تكفر السيئات الصغائر.

لحديث الباب، حيث أنزل الله (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ).

فالجمهور حملوا المطلق هنا على المقيد بحديث (الصلوات الخمس ... مكفرات ما اجتنبت الكبائر).

قال ابن جزي الكلبي: وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر.

وقد اختلف العلماء في المراد بالحسنات هنا.

قال ابن الجوزي : في قوله تعالى (إن الحسنات ...) المراد بالحسنات قولان:

أحدهما: أنها الصلوات الخمس.

قاله ابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، ومسروق، والضحاك.

والثاني: أنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

رواه منصور عن مجاهد.

والأول أصح لأن الجمهور عليه، وفيه حديث مسند عن رسول الله ﷺ رواه عثمان بن عفان عن رسول الله ﷺ أنه توضأ وقال (من توضأ وضوئي هذا ثم صلى الظهر غفر له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ومن صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر ومن صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينه وبين صلاة العشاء وهن الحسنات يذهبن السيئات، فأما السيئات المذكورة هاهنا فقال المفسرون هي: الصغائر من الذنوب. (زاد المسير).

قال ابن تيمية: قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، فمن قضي له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة، وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينه، فيستغفر الله ويتوب إليه منها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: الأعمال بالخواتيم، والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب.

أن يتوب فيتوب الله عليه فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون له حياً وميتاً، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، أو يشفع فيه نبيه محمد، أو يبتليه الله تعالى في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه، أو يرحمه ارحم الراحمين، فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومن إلا نفسه كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله ﷺ (يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

٢ – الحديث دليل على عظم شأن الصلاة.

٣ – الحديث دليل على أن القبلة ليست من الكبائر، لأن الكبائر لا تكفرها الصلوات الخمس.

٤ – إذا نزلت الآية في حادثة معينة فالعبرة بعموم لفظها لا بخصوص سببها، فقوله تعالى (إن الحسنات يذهبن السيئات) نزلت في شأن الرجل المذكور ولكنها جاءت بلفظ عام شامل فدخل فيها جميع المؤمنين والحمد لله على فضله.

فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أدلة هذه القاعدة:

أ– حديث الباب.

وقد جاء في رواية (فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً قَالَ: بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً).

وهذا صريح في أن العبرة بعموم اللفظ.

ب- وعَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ فَقَالَ «أَلاَ تُصَلُّونَ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا. فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَيَقُولُ «وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً) متفق عليه.

والشاهد: هو استدلال النبي ﷺ في الآية، مع أنها نازلة في الكفار الذين يجادلون في القرآن.

ج- وقال تعالى (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ).

ورد في سبب نزول هذه الآية عدة أقوال:

قيل: في ترك النفقة في سبيل الله.

وقيل: فيمن ترك الجهاد في سبيل الله وانشغل بدنياه.

وقد ورد عن البراء بن عازب ﷺ أنه اعتبر من يذنب الذنب ثم ييأس من رحمة الله: أنه ألقى بيده إلى التهلكة.

قال ابن حجر في "فتح الباري" (٨/ ٣٣): أخرجه ابن جرير وابن المنذر بإسناد صحيح.

والصحيح العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فإن العلماء – من المتقدمين والمتأخرين – يستدلون بهذه الآية أيضا على النهي عن قتل النفس وإيذائها وإلقائها إلى التهلكة بأي طريقة من طرق التهلكة، آخذين بعموم لفظ الآية، وبالقياس الجلي، مقررين بذلك القاعدة الأصولية القائلة: " العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب "

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: وأما قصرها عليه – يعني قصر الآية على موضوع ترك النفقة في سبيل الله – ففيه نظر، لأن العبرة بعموم اللفظ " انتهى.

ويقول الشوكاني رحمه الله: أي: لا تأخذوا فيما يهلككم. وللسلف في معنى الآية أقوال. والحق أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل ما صدق عليه أنه تهلكة في الدين أو الدنيا فهو داخل في هذا، وبه قال ابن جرير الطبري.

٥ – خطر فتنة النساء، وأنها من أعظم الفتن على الرجل.

قال تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ ..).

فبدأ بالنساء لعظم فتنتهن.

وقال ﷺ (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) رواه مسلم.

وقال ﷺ (... اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم.

ولذا جاءت الشريعة بالنهي عن أسباب الفتنة: فنهيت المرأة عن التبرج والسفور، ونهيت عن السفر بغير محرم، ونهي الرجل أن يصافح المرأة الأجنبية عنه، وأن يخلو بها، وأمر كل منهما بغض البصر، وأمرت المرأة بالقرار في بيتها فلا تخرج إلا لحاجة، وإذا خرجت خرجت بوقار وحشمة لا تتطيب، ولا تخضع بالقول ونحو ذلك من الأحكام التي قصد بها حماية المجتمع الإسلامي من أسباب الفاحشة.

٦ – الرجوع إلى أهل العلم فيمن وقع فيه الإنسان من مشاكل أو إشكالات.

٧ – أن كل ابن آدم خطاء.

٨ – وجوب التوبة إلى الله تعالى.

٩ – جواز إخبار الإنسان ما حدث منه من ذنب لمعرفة ما يترتب عليه من حكم.

١٠–أن نزول القرآن قد يكون إبتدائياً وقد يكون لسبب.

١١–بابُ فضلِ الصلاةِ لوقتها

٤٣٦ – وعنه، قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ (إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا) رواه مسلم.

«الأَكْلَة»: بفتح الهمزة وهي المرةُ الواحدةُ مِنَ الأكلِ كَالغَدوَةِ وَالعَشْوَةِ، والله أعلم.

==========

الحديث تقدم شرحه (١٤٠) .

٤٣٧ – وعن أَبي موسى ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (إنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) رواه مسلم.

==========

الحديث تقدم شرحه (١٦) .

٤٣٨ – وعن أَبي نجيح عمرو بن عَبَسَة – بفتح العين والباءِ – السُّلَمِيّ ﷺ قَالَ (كُنْتُ وَأَنَا في الجاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإِذَا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَآءُ عَلَيهِ قَومُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» قُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ» قُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْء أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، ومعه يَوْمَئذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ – رضي الله عنهما، قُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا، أَلاَ تَرَى حَالِي وحالَ النَّاسِ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي». قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المَدِينَةَ، فقُلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إِلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ، فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقُلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيْتَنِي بمكَّةَ» قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أَخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟ قَالَ: «صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَان، وَحينَئذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَلاَةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ، فَإِنَّهُ حينئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فإِذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ، ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإِنَّهَا تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفّارُ» قَالَ: فقلتُ: يَا نَبِيَّ الله، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ، إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيهِ إِلَى المِرفَقَيْن، إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يغسل قدميه إِلَى الكَعْبَيْنِ، إِلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا رِجلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وأَثنى عَلَيهِ ومجَّدَهُ بالَّذي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قلبه للهِ تَعَالَى، إِلاَّ انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئته يومَ وَلَدتهُ أُمُّهُ ، فحدث عَمرُو بن عَبسَة بهذا الحديث أَبَا أُمَامَة صاحِب رَسُول الله ﷺ

فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَة: يَا عَمْرُو بنُ عَبسَة، انْظُر مَا تقولُ! في مقامٍ واحدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَة، لقد كَبرَتْ سِنّي، وَرَقَّ عَظمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَلاَ عَلَى رَسُول الله ﷺ لَوْ لَمْ أَسمعه مِنْ رَسُول الله ﷺ إلاَّ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثًا –حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّات– مَا حَدَّثْتُ أَبدًا بِهِ، وَلكنِّي سمعتُهُ أكثَر من ذلِكَ) رواه مسلم.

==========

(**وعن أَبي نجيح عمرو بن عَبَسَة – بفتح العين والباءِ – السُّلَمِيّ**) هو: عمرو بن عبسة –بموحّدة، ومهملتين مفتوحات– ابن عامر بن خالد بن غاضرة بن عَتّاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سُلَيم السُّلَميّ، أبو نَجِيح، وقيل: أبو شُعيب، وقيل غير ذلك في نسبه، أسلم قديمًا بمكة، وكان أخا أبي ذرّ لأمه.

(**قَالَ : كُنْتُ وَأَنَا فِي الجاهِلِيَّةِ**) فترة ما قبل الإسلام .

(**أَظُنُّ**) أعلم وأتيقن .

(**أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**) من الدين الحق .

(**وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ**) يريد النبي ﷺ .

(**بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا**) أي: من الوحي السماويّ .

(**فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ**) أي : على ذلك الرجل .

(**فإِذَا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا**) أي: متواريًا، ومستترًا عن المشركين؛ لئلا يُلحقوا عليه ضررًا .

(**جُرَآءُ عَلَيهِ قَومُهُ**) قال النوويّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: هكذا هو في جميع الأصول "جُرَآء" بالجيم المضمومة، جمع جَرِيء بالهمز من الجرأة، وهي الإقدام والتسلّط، وهذا هو سرّ استخفائه.

وقال القرطبيّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: قوله (جُرآء عليه قومه) أي: يجترئون عليه، من الْجُرْأة .

(**فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ**) أي: ترفّقت، وتحيّلتُ في الدخول عليه .

(**فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟**) **قال النوويّ** –رَحِمَهُ اللَّهُ–: هكذا هو في الأصول: "ما أَنت؟ "، وإنما قال: "ما أنت"، ولم يقل: "من أنت؟ ؛ لأنه سأله عن صفته، لا عن ذاته، والصفات مما لا يعقل. انتهى.

(**قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ» قُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ» قُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ**) فيه أهمية صلة الرحم .

قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟) أي: فمن تبعك على هذا الدين الذي أرسلك الله تعالى به من الناس .

(**قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ**) أي : معي حر وعبد .

(**قال**) عمر بن عبسة .

(**ومعه يَوْمَئِذٍ أَبُو بكرٍ**) الصديق .

(**وبلالٌ**) هو ابن رباح مؤذّن رسول الله ﷺ، مولى أبي بكر الصَدّيق –رضي الله عنهما–

(**قُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ**) **قال النوويّ** –رَحِمَهُ اللَّهُ–: معناه إني متّبعك على إظهار الإسلام هنا، وإقامتي معك. .

وقال القرطبيّ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: قوله: "إني متّبعك" معناه: أصحبك، وأكون معك في موضعك، ولذلك أجابه بقوله: "إنك لا تستطيع يومك هذا"، ولم يردّ عليه إسلامه، وإنما ردّ عليه كونه معه.

(**قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يَومَكَ هَذَا**) أي: لقوّة شوكة المشركين، وضعف حال المسلمين، فأخاف عليك أن يلحقك منهم ضرر .

(**أَلاَ تَرَى حَالي**) من قلة الأعوان .

(**وحالَ النَّاسِ؟**) من قوة شوكتهم .

(**وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فأتني**) أي: غلبت على المشركين، وانتشرت الدعوة في الأرض .

(**قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ**) أي: بعد أن مكث في مكة نبيًّا مرسلًا ثلاثة عشر عامًا يدعو الناس إلى التوحيد، ونبذ الشرك .

(**حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المَدِينَةَ، فقُلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟**) يريد النبيّ ﷺ، وإنما أخرج السؤال هذا المخرج؛ تعميةً لحاله على المسؤولين؛ خشية أن يكونوا من أعدائه ﷺ فلا يُخبرونه بحقيقة الأمر إذا علموا أنه على دينه، وهذا من فقه عمرو بن عبسة ﷺ، وقوّة فطنته وذكائه .

(**فقالوا: النَّاسُ إِلَيهِ سِرَاعٌ**) بكسر السين المهملة، وتخفيف الراء؛ أي: مسرعون إلى الإيمان بالنبيّ ﷺ واتباع دينه .

(**فقَدِمْتُ المدينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقُلتُ: يَا رَسُول الله أَتَعْرِفُني؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بمكَّةَ ، فَقُلْتُ: بَلَى)** أي: أنا الذي لقيتك بها .

(**قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أَخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأَجْهَلُهُ**) قال النوويّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: هكذا هو: "عما علّمك"، وهو صحيحٌ، ومعناه: أخبرني عن حكمه وصفته، وبيّنه لي .

(**أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ؟**) أي: عن وقتها الجائزة فيه بدليل الجواب، وقال القرطبيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: هذا سؤال عن تعيين الوقت الذي يجوز التنفّل فيه من الوقت الذي لا يجوز، وإنما قلنا ذلك؛ لأنه ﷺ فَهِمَ عنه ذلك، فأجابه به، ولو كان سؤاله عن غير ذلك لما كان جوابه مطابقًا للسؤال.

(**قَالَ: صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاَةِ**) بقطع الهمزة، من الإقصار؛ أي: انته، وكُفّ عنها .

(**حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ**) أي : قدر رمح .

(**فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَان**) قِيلَ : الْمُرَاد بِقَرْنِهِ : أُمَّته وَشِيعَته ، وَقِيلَ : قَرْنه : جَانِب رَأْسه ، وَهَذَا ظَاهِر الْحَدِيث فَهُوَ أَوْلَى ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ يُدْنِي رَأْسه إِلَى الشَّمْس فِي هَذَا الْوَقْت لِيَكُونَ السَّاجِدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ الْكُفَّار فِي هَذَا الْوَقْت كَالسَّاجِدِينَ لَهُ ، وَحِينَئِذٍ يَكُون لَهُ وَلِشِيعَتِهِ تَسَلُّط وَتَمَكُّن مِنْ أَنْ يُلَبِّسُوا عَلَى الْمُصَلِّي صَلَاته ؛ فَكُرِهَتْ الصَّلَاة فِي هَذَا الْوَقْت لِهَذَا الْمَعْنَى . (نووي) .

(**وَحينَئذٍ يَسجُدُ لَهَا الكُفَّارُ**) أي: الذين يعبدونها .

(**ثُمَّ**) بعد ارتفاع الشمس قدر رُمح

(**صَلِّ**) أي: ما شئت، ففي رواية أبي داود (ثم صلّ ما شئت) وعند ابن ماجه (فصلّ ما بدا لك) .

(**فَإِنَّ الصَلاَةَ**) أي: بعد ارتفاع الشمس، أو الصلاة المشروعة .

(**مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ**) قال النوويّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي: تحضرها الملائكة، فهي أقرب إلى القبول، وحصول الرحمة، وقال القاري -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي: يحضرها الملائكة؛ ليكتبوا أجرها، ويشهدوا بها لمن صلّاها، ويؤيّده أن في رواية أبي داود: "مشهودة مكتوبة"،

وقال الطيبيّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي: يحضرها أهل الطاعة، من سكان السماء والأرض، وعلى المعنيين، فـ "محضورة" تفسير لـ "مشهودة"، وتأكيد لها، ويَحْتَمل أن يُجعل "مشهودة" على المعنى الأول، و"محضورة" على الثاني، أو الأولى بمعنى الشهادة، والثانية بمعنى الحضور للتبرّك، والتأسيس أولى من التأكيد. انتهى كلام القاري -رَحِمَهُ اللَّهُ-

(**حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ**) وفي رواية لأحمد، وهي عند ابن ماجه أيضًا: "حتى يقوم العمود على ظله".

قال السنديّ: العمود: خشبة يقوم عليها البيت، والمراد حتى يبلغ الظل في القلة بحيث لا يظهر إلَّا تحت العمود، ومحلّ قيامه، فيصير كأن العمود قائم عليه، والمراد وقت الاستواء.

(**ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلاةِ، فَإِنَّهُ حينئذ**) أي: حين يستقلّ الظلّ بالرمح.

(**تُسْجَرُ جَهَنَّمُ**) بالتخفيف والتشديد مبنيًّا للمجهول؛ أي: يوقد عليها إيقادًا بليغًا .

(**فإذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ**) أي: ظهر إلى جهة المشرق، و"الفيء" مختصّ بما بعد الزوال .

(**فَصَلِّ**) أي: أيَّ صلاة تريدها .

(**فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّي العصرَ**) أي : فرض العصر .

(**ثُمَّ اقْصرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ**) بالكلية .

(**قَالَ: فقلتُ: يَا نَبِيَّ الله، فالوضوءُ حدثني عَنْهُ؟**) أي : خبرني عن فضله .

(**فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ**) بضمّ أوله، وفتح ثانيه، وتشديد الراء، من التقريب .

فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَسْتَنْثِرُ، إلاَّ خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ) معنى "خَرَّت" بالخاء: أي: سقطت، وهو كناية عن مغفرة الذنوب، ومعنى "جَرَت" أي؛ ذهبت ذنوب وجهه مع ماء الوضوء ، والمراد من الخطايا هي الصغائر عند عامّة العلماء.

١-الحديث فيه منقبة ظاهرة لهذا الصحابي الكريم ؛ حيث كان منذ الجاهلية ذا عقل رشيد وتفكير سليم وشخصية قوية وإخلاص في طلب الحق ؛ فلم يرضَ عبادة الأصنام ولا تعظيم الأوثان ، ولم تعجبه عقائد الجاهلية ، ولم يكن إمَّعة يُساير الناس في ضلالهم ، بل كان ينتظر ظهور الدين الحق ، فلما أن بَلَغَه رحل إلى صاحبه واستوثق منه ، فآمَنَ دون إبطاء .

٢-فيه أن كثيرًا من العرب في الجاهلية كانوا على الفطرة السليمة التي لم تفسد ، وكانوا مستعدين للانضمام إلى دعوة الحقِّ حينما تظهر ، وهؤلاء كانوا مادة الإسلام وأنصاره وسواده الأعظم .

٣- أن النبي ﷺ كان على علم أكيد بأنه منتصر ، وأن العاقبة له ، وأن دعوته هي الغالبة ، وذلك ظاهر في قوله عليه السلام لعمرو : (فامكث في أهلك حتى يمكّن لرسوله ، فإذا سمعت بي قد ظهرتُ فالحَقْ بي) ،

٤-مصداق لقول ﷺ (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ...) .

٥-الحديث دليل على أن أبا بكر أول من أسلم ، ويدل لذلك :

أ-لحديث الباب (قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ ، ومعه يَوْمَئِذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ - رضي الله عنهما) .

ب-عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه . قال : قال النَّبِيُّ ﷺ (إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَتَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا) رواه البخاري .

ج-عن عمار . قال (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلاَّ خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ ، وَأَبُو بَكْرٍ) رواه البخاري .

قال ابنُ حَجَرٍ: في هَذا الحَديثِ أنَّ أبا بَكْرٍ أوَّلُ من أسلَمَ مِنَ الأحرارِ مُطلَقًا، ولَكِن مُرادُ عَمَّارٍ بذلك مِمَّن أظهَرَ إسلامَهُ، وإلَّا فقَد كانَ حينَئِذٍ جَماعةٌ مِمَّن أسلَمَ لكِنَّهم كانوا يُخفُونَهُ من أقارِبِهِم .

٦-قوله (**حر وعبد**) **قال القرطبيّ** -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إنما لم يذكر النبيّ ﷺ له عليًّا ﷺ؛ لصغره، فإنه أسلم وهو ابن سبع سنين، وقيل: ابن عشر، ولم يذكر خديجة -رضي الله عنها- أيضًا؛ لأنه فهم منه أنه إنما سأله عن الرجال، فأجابه حسب ذلك، ويُشكل هذا الحديث بحديث سعد بن أبي وقّاص ﷺ، فإنه قال: "ما أسلم أحدٌ إلَّا في اليوم الذي أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام، وإني لثلث الإسلام" ، وظاهره أن أبا بكر وبلالًا أسلما في اليوم الذي أسلم فيه سعد، وأنه أقام سبعة أيام لَمْ يُسلم مع الثلاثة أحدٌ، وحينئذ يلزم أن يكون مع النبيّ ﷺ يوم جاء عمرو بن عَبَسَة أبو بكر، وسعد، وبلالٌ، لكن سكت النبيّ ﷺ عن سعد إما نسيانًا، وإما لعدم حضوره إذ ذاك بمكة، أو لأمر آخر.

٧-قوله (**وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**) فيه علمٌ من أعلام النبوّة، ومعجزة من معجزات النبيّ ﷺ، حيث أخبر عمرو بن عبسة بأنه سيظهر على قومه الجُرآء عليه، ويقهرهم، ويُخمِد نارهم، ويَظْهَر منتصرًا على أرض الله -عَزَّ وَجَلَّ- جميعها، فوقع كما أخبر به، كما وعد الله تعالى بذلك حيث قال: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) وقال (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) وقال (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) .

٨- ثقةُ النبي ﷺ بربه، وأنه سينصره ويُظهِرُ دينَه.

٩-إثبات أن دعوة النبي ﷺ كانت سرية في أول الأمر.

١٠-فضل بلال بن رباح وأنه من السابقين إلى الإسلام .

١١-أهمية صلة الرحم .

١٢-لما كانت صلة الأرحام من الأخلاق التي يعظمها العرب قدَّمها في الذكر، مبيِّنًا أنه لم يُبعث لهدم ما كان عليه العرب من الخير والأخلاق الحسنة، وإنما بُعث ليُتمِّمَها ويدعوَ إليها، وتقديم المهمّ على الأهم جائزٌ عند الحاجة إليه.

١١-في القصة بيان أوقات النهي الثلاثة : بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس - حين تكون الشمس في كبد السماء -بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس.

١٢-في الحديث بيان علة النهي عن الصلاة في هذه الأوقات الثلاثة، وهو أن الشمس تطلع وتغرب بين قرني شيطان، ويسجد لها الكفَّار، وقد نُهي عن التشبُّه بهم.

١٣- فضل الصلاة وقت الضحى، ذلك أن الملائكة تشهدها وتحضر

١٤-فضل عظيم لمن توضأ كما أُمر وصلى صلاة فرغ قلبه فيها لله تعالى، فعقل ما يقول ويفعل، وأن جزاءه محو ذنوبه كلها، فمن لم يستطع الحج الذي يخرج منه كيوم ولدته أمه، فهذا بديل قليل الجهد قصير الوقت عظيم الأجر.

٤٣٩ - وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ عن النَّبيّ ﷺ قَالَ (إِذَا أَرادَ اللهُ تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها، فَجعلهُ لَهَا فَرطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإِذَا أَرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأَقرّ عَينَهُ بهلاَكِها حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أَمْرَهُ) رواه مسلم .

==========

(**إِذَا أَرادَ اللهُ تَعَالَى رَحمةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبيَّهَا قَبْلَها**) أي: أماته قبل أمته .

(**فَجعلهُ**) أي : ذلك النبي ﷺ .

(**لَهَا**) لأمته .

(**فَرطًا**) المتقدم على أمته .

(**وَسَلَفًا بَيْنَ يَديْهَا، وإذَا أَرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ**) أي : هلاكها .

(**عَذَّبَهَا**) بعذاب الدنيا .

(**وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلكَها وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأَقرّ عَينَهُ**) أي : سره .

١-**قال القرطبيّ** -رَحِمَهُ اللهُ-: إنما كان موت النبيّ ﷺ قبل أمته رحمة لأمته؛ لأنَّ الموجب لبقائهم بعده إيمانهم به، واتباعهم لشريعته، ثم إنهم يصابون بموته، فَتعظُم أجورهم بذلك، إذ لا مصيبة أعظم من فَقد الأنبياء، فلا أجر أعظم من أجر من أصيب بذلك، ثم يحصل لهم أجر التمسك بشريعته بعده، فتتضاعف الأجور، فتعظم الرحمة، ولهذا قال ﷺ: "حياتي لكم رحمة، ومماتي لكم رحمة" ، وأما إذا أهلكها قبله فذلك لا يكون إلا لأنهم لم يؤمنوا به، وخالفوه، وعصوا أمره، فإذا استمروا على ذلك من عصيانهم، وتمرُّدهم أبغضهم نبيّهم، فربما دعا عليهم فأجاب الله دعوته فأهلكهم، فأقرَّ عينه فيهم، كما فعل بقوم نوح وغيره من الأنبياء.

٢-رحمة الله بهذه الأمة المحمدية زادها الله شرفًا؛ فإنها أمة مرحومة، حيث قبض نبيها قبلها.

٣-اهتمام الأنبياء بأقوامهم وحرصهم على رعايتهم وإصلاح شؤونهم.

٤-تعذيب الكفار وإهلاكهم فيه إقرار عين الأنبياء وأتباعهم.

٥-فيه تطييب لقلب الرسول ﷺ الذي دعا قومه إلى الخير، فقابلوه بالكفر.

٦-نصرة الله تعالى للمظلوم ولو بعد حين، (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) الآية.